

الفصل الثالث

التعريف بحياته

- اسمه وكنيته
- نسبه
- أسرته
- حياته في الجاهلية
- إسلامه
- جهاده
- صلاته برجال عصره
- صفاته وأخلاقه
- سيفه «الصمصامة»
- وفاته

obeikandi.com

اسمه وكنيته

اسمه عمرو وكنيته أبو ثور وقد صرح بهما في شعره ، يقول من أبيات له في إنقاذ أسرى مذحجين في هوازن استجاروا به :

ألم ترني إذ ضمنى البلد القفرُ سمعتُ نداءً يصدع القلبَ يا عمرو
أغثنا فإننا عصبَةُ مذحجيةٌ نُنَاطُ على وفرٍ وليس لنا وفرٌ^(١)

ويصف سليك بن سلكه السعدي فيقول :
وسيرى حتى قال في القوم قائلٌ عليك أبا ثور سُلَيْكُ المِقَانِبِ^(٢)
كما نطق الشعراء الذين عاصروه والذين جاءوا من بعده باسمه وبكنيته في شعرهم يقول المجن بن جدين في مدحه حينما أطلقه من الأسر:

أرى مُذَحْجًا بيضَ الوجوه أعزَّةً بأسماعهم عن كل فاحشةٍ وقرُ^(٣)
لكل أناسٍ سيِّدٌ يعتزونه وسيِّدُ هذا الحي من مذحج عمرو
ويقول العباس بن مرداس وقيل لعامر بن الطفيل :

إذا مات عمرو قُلتَ للخيَلِ أوطئوا زُبَيْدًا فقد أودى بساحتها عمرو^(٤)
فأما وعمرو في زبيدٍ فلا أرى لكم غزوهم فارضوا بما حكم الدهرُ
فليت زبيدا كان فيها كضعفها وليت أبا ثور يجيش به البحرُ
ومرت الأيام وانتهى عصر عمرو ولكن أخباره لم تنته إذ أصبح مضرب
المثل عند الحديث عن البطولة والشجاعة فيها هو أبو تمام يمدح المعتصم
فيقول :

(١) الديوان : ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) الديوان : ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) الديوان ٣٢ - ٣٣ . وفي القاموس : المِقَانِبِ : الذئاب الضارية .

(٤) حماسة ابن الشجري ١٠٠ .

(٥) مختار الأغاني / ٢٠٧ ولباب الآداب ١٨١ .

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حِلْمٍ أحنف في ذكاء إياس^(١)
ويفتخر أبو نؤاس بأهل اليمن فيقول من قصيدة له :
ولا ترى فارسا كفارسها إذ زالت الهام عن مناكبها^(٢)
عمرو وقيس والأشتران وزيد — د الخيل أسد لدى ملاعبها
ومن هنا لا أجد خلافا بين من ترجموا له — فيما أعلم — على اسمه
وكنيته^(٣).

(١) ديوان أبي تمام ٢/٢٤٩ .

(٢) طبقات ابن المعتز ١٩٦ .

(٣) انظر الإصابة ٣/١٨ وطبقات ابن سعد ٥/٥٢٥ والبداية والنهاية ٧/١١٩ والأغاني ١٥/١٦٢
وأسد الغابة ٤/١٣٣ والمؤتلف والمختلف : ٢٣٤ وتجريد الأغاني ١٦٤٨ وتهذيب الأسماء واللغات
١/٣٣ والاشتقاق ٤١١ والموشح ١٢٠ ومعجم الشعراء ١٦ والكنى والأسماء ٦٥
والشريشي ٢/٦٨ وتجريد أسماء الصحابة ١/٤٢٩ ، والمستطرف ١/٢٢٢ وذيل الأمالي
١٠٣٤٨ .

نسبه (١)

لا تبخل كتب الأنساب على عمرو فقد وصلت به بآدم عليه السلام فهو عمرو بن معد يكرب^(٢) بن عبد الله بن عمرو بن عصم^(٣) بن عمرو^(٤) ابن منبه^(٥) - زبيد الأصغر - بن ربيعة^(٦) بن سلمة بن مازن بن ربيعة ابن منبه^(٧) - زبيد الأكبر - بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد

(١) هناك خلاف في سياق نسبه وذلك بزيادة أو نقص كما وجد خلاف في اسم بعض أجداده.
(٢) في إحدى روايات الأغاني ٢٠٨/١٥ ومعجم الشعراء ١٦: أنه معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله ابن عمرو... ومعناه بالحمرية، كما في الروض الأنف ٢٣٦/١: وجه الفلاح، معدي: وجه، وكرب: الفلاح، وفي خزائن الأدب ٤٢٥/١: معدى اشتقاقه مثل اشتقاق معدان ويزيد عليه بأنه يجوز أن يكون من العدوان فقلبت الواو ياء لما بني على مفعول أو يكون بني على مفعول فقلبت الواو ياء ثم خففت الياء لطول الاسم لأنه جعل مع كرب كالاسم الواحد، وكرب: يجوز أن يكون من الكرب الذي هو أشد الغم ومن كرب في معنى قارب أو من أكربت الدلو إذا شددتها بالكرب وهو الحبل الذي يشد على العراقي قال ابن جني فسر ثعلب أنه عداه الكرب أي تجاوزه وانصرف عنه.

(٣) حول هذا الجد دار خلاف بين العلماء الذين ترجحوه له:
ففي أسد الغابة ١٣٣/٤ ورد أنه حصم وفي البداية والنهاية ١١٩/٧ والاستيعاب ١٢٠٢/٣ والإصابة ١٨/٣ جاء أنه عاصم وفي إحدى روايات تهذيب الأسماء واللغات ٣٣/١ أنه خضم. ولكن معظم المصادر التي ترجمت له ترى أنه عصم كما في الاشتقاق ٤٧١ والأغاني ٢٠٨/١٥ وطبقات ابن سعد ٥٢٥/٥ والمؤتلف المختلف ٢٣٤ وإحدى روايات تهذيب الأسماء واللغات ٣٣/١.

(٤) سقط هذا الجد في الإصابة ١٨/٣ وفي تجريد الأغاني ١٦٤٨.
(٥) منبه هذا يسمى بزبيد الأصغر ولكن ورد في إحدى روايات الأغاني ٢٠٩/١٥ أنه زبيد بن منبه وذلك خطأ فزبيد الأصغر لقب لمنبه بن ربيعة كما أن زبيد الأكبر لقب لمنبه بن صعب.
(٦) سقط في معجم الشعراء ١٦ وفي إحدى روايات الأغاني ٢٠٨/١٥.
(٧) حول هذا الجد دار خلاف.

ففي البداية والنهاية ١١٩/٧ والإصابة ١٨/٣ أن اسمه شيبه لا منبه وفي الاستيعاب ١٢٠٢/٣ وفي أسد الغابة ١٣٣/٤ وتهذيب الأسماء واللغات ٣٣/١ أنه منبه بن زبيد الأكبر وهذا خطأ=

ابن زيد^(١) بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب^(٢) ابن قحطان بن عابر - وهو هود النبي عليه السلام - ابن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح عليه السلام ابن لمسك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس النبي عليه السلام ابن يرد بن مهلابيل بن قينان بن أنوش بن شيث وهو هبة الله ابن آدم أبي البشر.

= فزبيد الأكبر لقب له .

وفي الخزانة ٤٢٥ / ١ والبداية والنهاية ١١٩ / ٧ والإصابة ١٨ / ٣ وأسد الغابة ١٣٣ / ٤ وتهذيب الأسماء واللغات ٣٣ / ١ والاستيعاب ١٢٠٢ / ٣ بزيادة الحارث فهو منبه بن الحارث بن صعب .
(١) في معجم الشعراء ١٦ وخزانة الأدب ٤٢٥ / ١ والاستيعاب ١٢٠٢ / ٣ : أنه زيد بن كهلان ابن سبأ .
(٢) بقية السباق عن العقد الفريد ٣٦٨ / ٣ والعمدة ١٩٠ / ٢ وصبح الأعشى ٣١٥ / ١ ونهاية الأرب ٢٩١ / ١٥ .

أسرته

لم تكن أسرة شاعرنا الفارس عمرو بن معد يكرب مغمورة، ولا مجهولة، بل كانت على حظ كبير من العز الشامخ والمجد الباذخ.

فأبوه معد يكرب كان يتمتع بمكانة سامية بين قومه فهو الذي جمع قومه لقتال خثعم^(١) وقادهم إليهم، وهو الذي أطلق على عمرو لقب^(٢) المائق في صباه حين رأى لهوه وانصرافه عن ميادين الحرب والفروسية فهو إذاً رجل حرب وفارس ميدان وقد مات قتيلًا قتله أبي بن عثث^(٣) الخثعمي. وأما أمه فيقول عنها أبو الفرج^(٤): وأمّه وأم أخيه عبد الله امرأة من جرم فيما ذكر وهي معدودة من المنجبات. ووردت إشارة إلى أن خثعم سبّتها يقول عبد الله ابن الدمينّة الخثعمي^(٥).

وأسرعنا لعمرو بني زييد فأحرزه نجاء الهاريينا^(٦) وقدنا أمه حتى قرنا بها صفين من حزق حوينا^(٧)

وقيل إن أمه من بني مرة وهي سلمى بنت الحارث بن مرة^(٨) وقيل إنها بنت زهير بن أقيش العكلي وكانت سبية^(٩). وله عمان هما سعد^(١٠) وشهاب

(١)، (٢) الأغاني ٢٠٨/١٥.

(٣) إرشاد الشيخ المفيد / ٨٥٨.

(٤) الأغاني ٢٠٨/١٥.

(٥) ديوان ابن الدمينّة : ١٥٦.

(٦) أحرزه : صانه وحفظه.

(٧) الحزق : جمع حزقة - بكسر فسكون وهي الجماعة من الناس.

(٨) جهمرة النسب ٩٧ - ٩٨.

(٩) جهمرة النسب ٩٧ - ٩٨.

(١٠) الإكليل : ٧٢/١٠.

قتلها سмир اليامي وقد بعث عمرو إلى سмир يتوعده فقال سмир من أبيات له :

أيرسل عمرو بالوعيد سفاهة إلى بظهر القول قولاً مرجحاً
وذكر أن له ابن أخ فاتك في الجاهلية أعطاه عمرو يوماً الصمصامة وقال :
اقتل بها المخزم ، فمضى فقتل المخزم وابن أخ له ، ثم انصرف إلى عمرو فقال
له : ما صنعت ؟ قال قتلت المخزم وابن أخيه فقال عمرو كيف أصنع ببني
مازن وقد قتلت سيدها فقال الغلام : أعطيتني الصمصامة وسميتني المقدام
ثم أقتل واحداً فما خبري إذا ^(١) . كما ذكر أن الإمام علي قتل أخاً له وابن أخ له
آخر ^(٢) ، ووردت إشارة غامضة إلى أن له أخاً اسمه زيد ولكن المرزوقي نفى
ذلك ^(٣) .

غير أن أخاه عبد الله هو الذي اشتهر من بين أفراد أسرته فكان سيداً
مطاعاً في بني زبيد ورئيساً لهم حتى قُتل بني مازن له . يقول أبو الفرج « كان
عبد الله بن معد يكره أخو عمرو ، رئيس بني زبيد ، جلس مع بني مازن في
شرب ^(٤) منهم فتغنى عنده حبشي عبد للمخزم ، أحد بني مازن في امرأة من
بني زبيد ، فلطمه عبد الله وقال له : أما كفاك أن تشرب معنا حتى تشب
بالنساء ؟ فنأى الحبشي : يا آل بني مازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه . . .
فرئس عمرو مكان أخيه . . . وجاءت بنو مازن إلى عمرو فقالوا : إن أخاك قتله
رجل منا سفيه وهو سكران ، ونحن يدك وعضدك فنسألك الرحم وإلا

(١) الخزانة : ٧٨-٧٩ .

(٢) إرشاد المفيد : ٨٥ .

(٣) الحماسة : للمرزوقي ١ / ١٨٠ .

(٤) الشرب : جماعة الشاربين .

أخذت الدية ما أحببت فهُمْ عمرو بذلك^(١) . وبلغ ذلك أخته كبشة فغضبت وقالت شعراً تعير فيه عمراً وتدعوه إلى الأخذ بثأر أخيه^(٢) :

وأرسل عبدُ الله إذ حان يومُهُ إلى قومِهِ لا تعقِلُوا لَهُم دَمِي
ولا تأخذُوا منهم إفاًلاً وأبْكَراً وأترك في بيت بصعْدَةِ مُظْلَم^(٣)
ودع عنكَ عَمراً إنَّ عَمراً مُسالمٌ وهل بطنُ عمرو غيرُ شبرٍ لمَطْعَم^(٤)
فإن أنتم لم تثارُوا واتَّديتُمْ فمَشُوا بِآذَانِ النعامِ المَصْلَمِ^(٥)
أَيَقْتُلُ عبدُ الله سيِّدَ قومِهِ بنو مازنٍ أن سبَّ راعي المخزَمِ
ولا تَرِدُوا إلا فُضُولَ نساءِكُمْ إذا ارتَمَلْتَ أعقابَهُنَّ من الدَّمِ^(٦)
وعند ذلك ثار عمرو وأبى أخذ الدية وقال الشعر في رثائه وأخذ يصور
حالته النفسية بعد فقدِه فالأرق أصابه ولذكرى بني مازن وقتلهم أخاه ظل
طول ليله متكئاً على مرفق يده كأن بعينه رمداً :

(١) الأغاني : ٢٢٦/١٥ - ٢٣٠ .

وقيل إن سبب قتله أنه مر براع للمخزوم بن سلمة من بني مالك بن مازن بن زبيد فاستسقاها لبنا فأبى واعتل عليه وشتمه فقتله عبد الله فثارت بنو مازن بعبد الله فقتلوه . «الخزانة ٣/ ٧٦» .

(٢) الأغاني ٢٢٦/١٥ وشرح الحماسة للمرزوقي ١/ ٢١٧ عدا الخامس ولباب الآداب ١٨٢ عدا الخامس مع خلاف في الترتيب على أنها لريحانة أخته .

(٣) في لباب الآداب ، ولا تقبلوا منهم . والإفال جمع وواحد أفيل ، وهي صغار الإبل ، والأبكر : جمع البكر وهو الفتى منها ، وصعدة : مكان باليمن .

(٤) في شرح الحماسة للمرزوقي : «عمرو هو أخوها وكان يعد بألف فارس ، ولم يكن ممن يسالم ولا سيما في طلب دم أخيه ، وإنما رمته بهذا الكلام لتهيج منه وتبعثه على التعجل في درك الثأر والتسرع في الانتقام .

(٥) في لباب الآداب : لم تثاروا بأخيكُم ، وفي الأغاني لم تقبلوا واتديتُم وفي شرح الحماسة للمرزوقي ، الصلم : قطع الأذن من أصلها ، واتديتُم قبلتم الدية .

(٦) في لباب الآداب : «ولا تشربوا إلا فضول .

أَرَقْتُ وَأَمْسَيْتُ لَا أَرْقُدُ وساورني الموجعُ الأسودُ^(١)
وبت لذكرى بني مازنٍ كأني مُرتفقٌ أرمُدُ
وأغار على بني مازن وأعمل سيفه في رقابهم غير مرید النصره من أحد^(٢) :
خذوا حَقًّا مُحْطَمَةً صَفَايَا وكيدي يا مُحْزَمٌ أَنْ أَكِيدَا^(٣)
قتلتهم سادتي وتركتهموني على أكتافكم عبئًا جديدًا
فمن يَأْبَى من الأَقْوَامِ نصرًا ويتركنا فإنال نُرِيدَا
ويهم بالكف عنهم بعد أن قتل منهم من قتل ولكن أخته كبشة لم تقنع
بذلك بل تريد المزيد من القتل فتركب في نساء من قومها وتترك عمرا أخاها
وتعيره ، فيحمي عمرو ويكب على بني مازن مرة ثانية بالقتل حتى تفرقوا^(٤)
وردد الأشعار في بكاء أخيه والاعتزاز بانتقامه من بني مازن فقد قتل سراتهم
وفاجأهم بالحرب مرة بعد أخرى :

تمنت مازنٌ جهلاً خِلَاطِي فذاقت مازنٌ طعم الخِلَاطِ^(٥)
أطلتُ فِرَاطكم عامًا فعامًا ودَيِّنُ المَذْحِجِي إلى فِرَاطِ^(٦)
أطلتُ فِرَاطكم حتى إذا ما قتلت سراتكم كانت قَطَاطِ^(٧)
غدرتم غدرَةً وغدرَةً أخرى فما إن بيننا أبدًا يِعَاطِ^(٨)

(١) الديوان ٨٩ - ٩٠ .

(٢) الديوان : ٩٠ .

(٣) الحَقَّق جمع حَقَّ وهو ما كان من الإبل ابن ثلاث سنين وقد دخل في الرابعة . مخطمة : عليها الخِطَام ، والصفَايا : جمع صَفِيٍّ : وهي الناقة الغزيرة الدَّرِّ والصَّفِيَّ : ما يصطفيه الرئيس من الغنم لنفسه قبل القسمة ، وهو الصَّفِيَّة أيضًا ، والجمع صفَايا

(٤) الأغاني ١٥ / ٢٣١ .

(٥) الديوان / ١٢٧ .

(٦) الفِرَاط : الإمهال .

(٧) كانت قَطَاط : أي حسبي وكفاني

(٨) يِعَاط : وردت في الصحاح أنها مثل قَطَام : زجر للذئب وفي الخزانة : أنها كلمة إغراء على الحرب أي احمِلوا .

وله أختان هما كبشة ، وهي التي حرّضت عمراً على الانتقام من قتلة أخيه عبد الله وقالت الشعر في إثارة سخيّمته عليهم ، وكانت ناكحاً في بني الحارث^(١) بن كعب وقيل بل كانت تحت الأجدع^(٢) بن مالك الهمداني وهو الأرجح وذلك لقول عمرو يخاطبها :

لعمرك لولا أجدع الخيل فاعلمي لقدتُ إلى همدان جيشاً عرمرماً^(٣)
لقدتُ إلى همدان ألف طِمْرَةٍ وألف طِمْرٍ من كُميتٍ وأدّهما^(٤)
وقد كان بنو الأصيد بن سفيان بن أرحب من همدان قد عدوا على عمرو
وأخذوا فرسه ولامته^(٥) ، ويقول الأجدع مخاطباً كبشة :

ألا أبلغ فتاة بني زُبَيْد كيشة والحديث له نماء^(٦)
مغلغلة وجهر القول عما يوكل في الخطوب له البلاء
أما أخته الثانية فهي ریحانة قيل إنها «كانت»^(٧) تحت الصمة بن الحارث فولدت له دريدا وعبد الله . ويذكر أبو الفرج أن الصمة سبهاها وذلك «أنه»^(٨) أغار على بني زيد في قيس فاستاق أموالهم وسبى ریحانة ، وانهمزت زيد بين يديه ، وتبعه عمرو وأخوه عبد الله ابنا معد يكرب ، ثم رجع عبد الله وأتبعه عمرو ، وظل عمرو يناشده أن يخلي عنها فلم يفعل ، فلما يؤس منها ولى وهي تناديه بأعلى صوتها يا عمرو ! فلم يقدر على انتزاعها ، وقال قصيدته :

(١) الخزّانة ٧٧ / ٣ .

(٢) ، (٥) الإكليل ٧٦ / ١٠ ، ١٢١ ، ١٥٢ .

(٣) الديوان ١٦٦ .

(٤) فرس طمّر : هو المستعد للوثب والعدو - والأمور المطمّنة : المهلكات

(٦) الإكليل ٧٦ / ١٠

(٧) الشعر والشعراء ١ / ٣٧٢ .

(٨) الأغاني ١٥ / ٢٢٥ .

أمن ریحانة الداعي السميع يُؤرقني وأصحابي هجوُ
 سباه الصَّممة الجُشمي غصبا كأن بياض غُرَّتْها صديع^(١)
 وحالت دونها فرسان قيس تكشف عن سواعدها الدُرُوع
 إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
 ولكن يبدو أن أبا الفرج واهم في أن المراد بريحانة في هذه الأبيات أخته
 والأرجح أن المراد بريحانة في هذه القصيدة موضع وهو رأي ذكره البغدادي
 للطبي في الخزانة ويؤيد ذلك :

أنها قصيدة غزلية وبعيد أن يتغزل بأخته ، ثم إن فيها غزلا بامرأة اسمها
 سلمى :

ورب محرش في جنب سلمى يُعلّ بعيها عندي ، شفيع^(٢)
 فكم من غائط من دون سلمى قليل الأنس ليس به كتيع^(٣)
 وقد أشاد بسلمى هذه في قصائد أخرى^(٤).

ألم بسلمى قبل أن تظعنا إن لنا من جها ديدنا^(٥)
 قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس إلا أنا
 أما رواية أبي الفرج للبيتين :

سباه الصمة الجشمي غصبا كأن بياض غرتها الصديع^(٦)
 وحالت دونها فرسان قيس تكشف عن سواعدها الدرُوع

(١) الصديع : الصبح .

(٢) الديوان : ١٣٧ - ١٤٢ .

(٣) الغائط : المطمئن من الأرض الواسع ، ليس به كتيع : ليس به أحد .

(٤) الديوان : ١٧٥ .

(٥) الدَّيْدَن : الدأب والعادة .

(٦) الأغاني : ٢٢٥ / ١٥ .

فالظاهر أنها اختلفا لترجيح الرواية القائلة : إن هذه القصيدة قيلت في سبي الصمة لأخته ریحانة . كما ذكر صاحب الخزنة أن هذه الأبيات غير موجودة في ديوان عمرو بن معد يكرب الذي جمعه أبو عبد الله الأعرابي^(١) وهذا الغزل بهذه المرأة - سلمى - ينفي الرواية القائلة إن هذه القصيدة قيلت في ریحانة المرادية^(٢) التي تزوجها وطلقها قبل أن يدخل بها ، ولعل ریحانة المرادية هي المعنية بقوله :

هاج لك الشوق من ریحانة الطربا إذ فارقتك وأمست دارها غربا^(٣)
 ما زلت أحبس يومَ البين راحلتي حتى استمروا وأذرت دمعها سربا
 حتى ترفع بالحزان يُركضها مثل المهاة ، مرته الريح فاضطربا^(٤)
 والغانيات يقتلن الرجال إذا خرجن بالزعفران الريط والنقبا
 من كل آنسة لم يغذها عدم ولا تشد لشيء صوتها صخباً
 إن الغواني قد أهلكنني وأرى جباهن ضعيفات القوى كذباً
 ويرى أبو الفرج أن هذه الأبيات مما قاله عمرو في أخته ریحانة^(٥) ولكن هذا الغزل المكشوف الصريح يجعلنا نرجح أن ریحانة هذه القصيدة خلية وصاحبة وليست بالأخت .

ونفى الميمني في حواشي سمط اللآلي : أن تكون ریحانة أم دريد أختا لعمرو معولاً في ذلك على صاحب^(٦) الخزنة يقول : « من المحال^(٧) أن تكون

(١) الخزنة : ٤٦٤ / ٣ .

(٢) الأغاني ٢٢٦ / ١٥ .

(٣) الديوان : ٢٧ - ٢٨ .

(٤) الحزير : المنهبط من الأرض ، وقيل هو الغليظ منها .

(٥) الأغاني ٢٣٩ / ١٥ .

(٦) الخزنة ٤٦٢ / ٣ .

(٧) سمط اللآلي ٤٠ / ١ .

ريحانة أخت عمرو، لأن دريدا حين قُتل يوم هوازن، كان ناهز مائتي سنة، كما في المعمرين وقتل عمرو سنة ٢١ وقد جاوز ١٢٠ سنة. ويقول لعل الصواب رواية الأغاني الأخرى وهي أنها - أي ريحانة - امرأة عمرو المطلقة، وذكرت المصادر أن له زوجة جعفية^(١) رثته لما مات بقولها:

لقد غادر الركبان الذين تحمّلوا برودة شخصاً لا ضعيفاً ولا غمراً
فقل لزبيد بل لمذحج كلّها فقدتم أبا ثور سنانكم عمراً
فإن تجزّعوا لا يُغن ذلك عنكم ولكن سلّوا الرحمن يُعقبكم صبراً
وذكر أن اسم زوجته ركانة بنت السلامة^(٢) ولعلها الجعفية، كما ورد أن كنية زوجته - ولعلها الجعفية أيضاً - أم ثور -^(٣) ولعل المصادر فرقت بين نسبة هذه الزوجة التي اشتهرت بها واسمها وكنيّتها فجعلت منها ثلاث زوجات. وتزوج امرأة من كندة ومكث معها ثلاثة أيام وخاف أن يغتال فخرج من عندها فقال: إن ولدت غلاماً فسميه خززا، وإن ولدت جارية فسميها «عكرشة» ثم رحل عنها فولدت غلاماً فسمته خززا.

وساق الأصمعي قصة زواجه بها فقال^(٤): «خرج عمرو بن معد يكرب فلقي امرأة من كندة بذى المجاز يقال لها: حبي بنت معد يكرب فلما رآها أعجبه جمالها وكمالها وعقلها، فعرض عليها نفسه فقال لها: هل لك في كف «كريم» ضروب لهامة الرجل الغشوم، موات طيب الخيم، من سعد في الصميم؟ فقالت: أمن سعد العشيرة؟ قال: من سعد العشيرة، في أرومتها

(١) الأغاني ١٥/ ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٢) إرشاد المفيد ٨٥.

(٣) بلاغات النساء ١٨٠ وشرح نهج البلاغة ١٨/ ٣٩٩.

(٤) ذيل الأمالي والنوادر: ١٥١ - ١٥٢.

الكبيرة وغرتها المنيرة، إن كنت بالفرصة بصيرة، قالت: نعم زوج الحرة الكريمة، ولكن لي بعلا يصدق اللقاء، ويخيف الأعداء، ويجزل العطاء، فقال: لو علمت أن لك بعلا ما عرضت عليك نفسي، فكيف أنت إن أنا قتلتك؟ قالت: لا أصيف^(١) عنك، ولا أعدل بك، ولا أقصر دونك، وإياك أن يغرك قولي وأن تعرض نفسك للقتل، فإني أراك منفردا من الناصر والأهل، والرجل في عزة من الأهل وكثرة من المال، فانصرف عنها عمرو وجعل يتبعها من حيث لا تعلم به، فلما قدمت على زوجها جاء عمرو مستخفيا حيث يسمع كلامها، فسألها بعلا عما رأت في طريقها، فقالت: رأيت رجلا مخيلا للبأس يتعرض للقتال، ويخطب حلائل الرجال، فعرض علي نفسه فوصفتك له، فقال: ذلك عمرو، ولدني أمه إن لم يأتك مقرونا إلى جمل صعب غير ذلول، فلما سمع عمرو كلامه دخل عليه بغتة من كسر خبائه فقتله، ووقع عليها، فلما فرغ قال لها: إني لم أقع على امرأة في جمّام^(٢) إلا حملت، ولا أراك إلا قد حملت، فإن ولدت غلاما فسميه خززا، وإن ولدت جارية فسميها عكرشة، وأعطائها علامة ومضى عمرو.

وباستعراض شعره الجاهلي والإسلامي نجد له قولاً بامرأة اسمها سلمى ولا ندري من هي سلمى هذه؟ هل هي الجعفية أم الكندية؟ ولعلها حبيبة ثالثة يقول من قصيدة له:

فكم من غائطٍ من دُون سلمى قليل الأنس ليس به كتيْعُ
به السرحانُ مفترشاً يديه كأن بياضَ لبته الصديق^(٣)

(١) لا أنصرف عنك .

(٢) الجمّام: بالفتح الراحة .

(٣) الصديق: الصبح .

وفي معركة القادسية نراه يفتخر بشجاعته وقتله فرسان الفرس هاتفا باسم سلمى :

ألم بسلمى قبل أن تظعننا إن لنا من جبهادينا
قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس إلا أنا
وقيل^(١) إن له ابنا اسمه خرز من امرأته الكندية نشأ في كنده، واشتهر بالشجاعة .

روي أن عمرا خرج يوما يتعرض للقتال ، عليه سلاحه ، فإذا هو بفتى على فرس شاك في السلاح ، فدعاه عمرو للمبارزة ، فأجابه الفتى . فلما اتحدا صرع الفتى عمرا وجلس على صدره ليذبحه ، فسأله من أنت ؟ فقال أنا عمرو ، فهمز الفتى عن صدره وقال : أنا ابنك الخرز . وأعطاه العلامة . فأمره عمرو أن يسير إلى صنعاء ولا يكون ببلدة هو بها ، ففعل الغلام ذلك ، فلم يلبث أن ساد من كان بين أظهرهم ، فاستغووه وأمروه أن يقاتل عمرا وشكوا إليه فعله .

فسار إلى أبيه بجمع من أهل صنعاء ، فلما التقيا شد كل واحد منهما على صاحبه فقتله عمرو . وقد ندم على قتله ورثاه بقوله :

أيا أسفا على خرز بن عمرو فيا ندمي عليه ولهف نفسي^(٢)
بني وكان لي عضداً وذكراً إذا غيبت في كفني ورمسي^(٣)
به فخر الفوارس من زبيد كأن جيناه لألاء شمس
فلا أسقيت يا كفّي الغوادي ولاقيت البلاء وكلّ نحس
وما تغني الندامة والمرائي وقد أصبحت مثل حديث أمس

(١) ذيل الأملالي : ١٥١ .

(٢) الديوان / ١١٧ .

(٣) رمسي : قبري .

أما ثور فلم تشر المصادر إلا أنه ابن له ولكنها ذكرت على أنها كنية لعمرو
إلا أن كونه ابناً له أقرب فامراته تدعى^(١) أم ثور أيضاً ، وله ابنة^(٢) عرضها على
سعيد بن العاص الأصغر لما ولي الكوفة فرفضها .

وهو ابن خالة الزبرقان^(٣) بن بدر التميمي الصحابي المشهور والشاعر
الفصيح الذي ولاه الرسول ﷺ صدقات قومه ، وخال قيس بن مكشوح
البحلي سيد بجيلة وفارسها .

وبعد فهذه أسرة عمرو التي نشأ وشب بين أفرادها ، فهي أسرة شريفة ، لها
حظها من الوجاهة وعلو القدر ، وهي أسرة حربية لها حظها من الشجاعة
والفروسية . وهي أسرة ، كان للشعر فيها نصيب وافر ، فأبوه معد يكرب
وأخوه عبد الله كانا سادة لقومهما ومن الفرسان الشجعان وكان ابن خالته
الزبرقان بن بدر وابن أخته قيس بن مكشوح كانا سادة لقومهما وشعراء
فصحاء وفرساناً أبطالاً وكانت أخته كبشة شاعرة ، وابنه خرز كان فارساً
شجاعاً قاد أخواله من كندة في معارك كثيرة .

(١) بلاغات النساء / ١٦٥ .

(٢) الطبري ٣ / ٢٦٩ .

(٣) المؤتلف والمختلف ١٨٧ وذيل الأمالي ١٤٨ .

حياته في الجاهلية

عاش معظم حياته في الجاهلية وذلك أنه مات سنة ٢١ هـ وعمره ١٢٠ عاما على أرجح الأقوال .

أي أنه عاش نيفا وثمانين عاما في الجاهلية . ومعلوم أن حياة العرب في الجاهلية كانت حياة حربية تقوم على القتل والنهب والسلب وسفك الدماء وكانت قبيلة عمرو كغيرها من القبائل تعشق الحرب وتحب الغزو وكان عمرو في صباه لاهيا عابثا أكلوا منصرفا إلى اللهو والشراب تاركا ميادين القتال حتى أصبح يعرف بمائق بني زبيد أي الأحمق الذي لا خير فيه وهو لقب أطلقه^(١) عليه أبوه بعد أن رأى منه ذلك الانحراف والانصراف عن ميادين الحرب والفروسية . ويبدو أن هذا اللقب ضايقه وأن ازدراء أبيه وقومه له أثر فيه فأصبح يتحين الفرصة التي يثبت فيها قدرته على القتال وأنه فارس زبيد لا مائتها .

وقد حدث ما أراد فذات يوم علم أن قبيلة خثعم ستشن غارة على قومه ورأى والده معد يكرب يجمع القوم فما كان منه إلا أن قصد أخته وقال لها «أشبعيني إن غدا الكتيبة» وجاء أبوه إلى أخته فأخبرته بما كان من عمرو فقال لها مستكثرا على عمرو اهتمامه بالكتيبة : هذا المائق يقول ذاك؟ قالت نعم : قال : فسليه ما يشبعه فسألته فقال : فرق من ذرة وعنز رباعية . وكان الفرق يومئذ ثلاثة أضوع . فصنع له ذلك وأتى عليه جميعه ، وفي الصباح أغارت عليهم خثعم ولم يهب عمرو للقائهم بل رمى بنفسه وتناوم وترك الفريقين يقتتلان ثم رفع رأسه فرأى لواء أبيه قائما فوضع رأسه وبعد برهة من الزمن رفع رأسه مرة أخرى فإذا بلواء أبيه قد زال فهب مسرعا نحو المعركة وفي الطريق

(١) الأغاني ٢٠٨/١٥ .

لقي أباه منهزما فقال له : انزل عن الفرس فالיום ظلم فقال له : إليك يا مائق؟ ولكن القوم قالوا : خله أيها الرجل وما يريد فإن قتل كفيت مؤنته ، وإن ظهر فهو لك . فألقى إليه سلاحه فركب ثم رمى خثعم بنفسه حتى خرج من بين أظهرهم ، ثم كر عليهم وفعل ذلك مرارا وحملت عليهم بنو زبيد فانهزمت خثعم وقهروا ف قيل له يومئذ فارس زبيد^(١) .

وهكذا اجتاز تلك التجربة الصعبة وذاك الامتحان القاسي كما اجتازه من قبله عنتره الفوارس ، وظلت أخبار بطولته بعد ذلك تترى وأحاديث شجاعته تذاع تتناقلها الأفواه وتتحدث عنها الركبان فإذا به البطل المغوار الذي ترتعد لذكره الفرائص خرج مرة يريد الغارة وبينما هو يسير إذ هو بفرس مشدود ورمح مركز ورجل جالس كأعظم ما يكون من الرجال خلقا محتب بسيفه فقال له : خذ حذرک فإني قاتلك ، فقال ومن أنت قال أنا عمرو بن معد يكرب فشقق شهقة فمات^(٢) - وسواء صحت القصة أم لا فهي دليل على بطولته وشجاعته الفذة .

وتولى رئاسة قومه زبيد بعد قتل أخيه عبد الله فأخذ ينتقل بهم من ميدان إلى ميدان قائدا إياهم متحديا بهم القبائل :

فما جمع ليغلب جمع قـومي مكاثرة ولا فرد لفرد^(٣)
ويقول :

هتفتُ فجاءت من زبيد عصابةٌ إذا طردت فاءت قريبا فـكرتِ^(٤)

(١) الأغاني ٢٠٨/١٥ - ٢٠٩ .

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ١٧٦/٢ .

(٣) الديوان / ٨١ .

(٤) الديوان ٤٤ .

وسال الشعر على لسانه في الافتخار بمهارته الحربية والاعتزاز بشجاعته :

أنا أبو ثور ووقافُ الزلق^(١)

لست بمأفون ولا في خرق^(٢)

وأسدُ القوم إذا احمر الحدق^(٣)

إذا الرجال عَضَّهم نابُ الفَرَق^(٤)

وجدتني بالسيف هتاك الحلق^(٥)

وعلا شأنه فاختره النعمان بن المنذر ليكون أحد رسله إلى كسرى وفي مجلس كسرى قال في غير خوف ولا وجل^(٦) : «إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فبلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجعة^(٧) الارتداد ، وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة ، وتوقف الخبرة خير من اعتساف الحيرة ، فاجتبد^(٨) طاعتنا بلفظك واكتظم بادرتنا بحلمك ، وألن لنا كنفك يسلس لك قيادنا ، فإننا أناس لم يوقس^(٩) صفاءنا قراع مناقير من أراد لنا قضا ، ولكن منعنا حمانا من كل رام لنا هضما» .

(١) الديوان : ١٥١ .

إلا أنه في الديوان : «أنا ابن ثوار» ولعله خطأ مطبعي والتصحيح من مروج الذهب ٣٢٩ / ٢ وهو المصدر الذي أخذ منه النص .

(٢) الخرق : الدهش من الخوف .

(٣) الحَدَق : جمع حَدَقَة وحَدَقَة العين : سوادها الأعظم .

(٤) الفرق : الخوف .

(٥) الحلق : الدروع .

(٦) العقد الفريد ١٨ / ٢ وعنه نقل الألويسي في بلوغ الأرب : ١٤٧ / ١ - ١٥٨ .

(٧) النجعة : طلب الكلاء .

(٨) اجتبد : اجتذب .

(٩) لم يوقس : لم يجِدش .

وهو كلام يدل على رجاحة عقله واتزانه وافتخاره بقومه واعتداده بهم .
وهكذا : كانت حياته في الجاهلية هـواً وعبثاً في الصبا ، تلاها قتال وسيادة
وقيادة للجيش .

إسلامه

تتفق معظم المصادر على أنه قدم على النبي ﷺ وذلك سنة تسع أو عشر ولكنها تختلف في تسمية الوفد الذي قدم فيه ، فمرة تجعله في وفد مذحج^(١) عامة مع فروة بن مسيك المرادي ، ومرة مع وفد مراد^(٢) قوم فروة لأنه كان قد فارق قومه زييدا ، ولكن الأرجح رواية ابن سعد عن الواقدي في سند عن خزيمة بن ثابت أنه قدم^(٣) مع وفد زييد قال : قدم عمرو بن معد يكرب في عشرة من زييد المدينة فقال حين دخلها ، وهو أخذ بزمام راحلته من سيد أهل هذه البحرة^(٤) من بني عمرو بن عامر؟ ف قيل له : سعد بن عباد ف أقبل يقود راحلته حتى أناخ ببابه ، فخرج إليه سعد فرحب به وأمر برحله فحط وأكرمه وحياه ثم راح به إلى النبي ﷺ فأسلم وأقام أياما ، وأجازه رسول الله كما كان يجيز الوفد ، وانصرف راجعا إلى بلاده .

وفي رواية^(٥) أنه قال للرسول ﷺ حين التقى به : حياك الله إلهك ، أبيت اللعن ! فقال رسول الله ﷺ : « إن لعنة الله وملائكته والناس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . فآمن بالله يؤمنك يوم الفزع الأكبر » . فقال عمرو وما الفزع الأكبر؟ قال رسول الله : « إنه فزع ليس كما تحسب وتظن ، إنه يصاح بالناس صيحة لا يبقى حي إلا مات ، إلا ما شاء الله من ذلك ، ثم يصاح بالناس صيحة لا يبقى ميت إلا نشر ، ثم تلج تلك الأرض بدوي تنهد منه الأرض ، وتخر منه الجبال ، وتنشق السماء انشقاق

(١) الأغاني ٢١٠ / ١٥ .

(٢) البداية والنهاية ١١٩ / ٧ وأسد الغابة ١٣٣ / ٢ وتجريد أسماء الصحابة ٤٢٩ / ١ .

(٣) طبقات ابن سعد ٥٢٦ / ٥ والإصابة ١٩ / ٣ وتهذيب الأسماء واللغات ٣٤ / ١ .

(٤) البحرة : البلدة يقال : هذه بحرتنا ، أي بلدتنا وأرضنا .

(٥) الأغاني ٢١٢ / ١٥ .

القبطية^(١) الجديد ما شاء الله في ذلك ، ثم تبرز النار فينظر إليها حمراء مظلمة قد صار لها لسان في السماء ترمي بمثل رعوس الجبال من شرر النار ، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه ، وذكر ذنبه - أين أنت يا عمرو قال : إني أسمع أمرا عظيما ! فقال رسول الله ﷺ : « يا عمرو أسلم تسلم » . فأسلم وبايع لقومه على الإسلام .

أما ما روي من أنه قدم مع فروة فذلك قول ضعيف وذلك أنه كان يكره فروة ، قال^(٢) لقيس بن مكشوح وهو ابن أخته حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ : يا قيس إنك سيد قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلا من قریش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقال له نبي ، فانطلق بنا حتى نعلم علمه ، وبادر فروة لا يغلبك على الأمر ، فهو إذا يفضل على فروة ويدعوه إلى الإسلام كي لا يسبقه فروة . وربما ساءه أن النبي ﷺ لم يولده شيئا وولى فروة وهو الرئيس في قومه فما إن أعلن عبهلة العنسي^(٣) نبوته وردته حتى أسرع إليه فكان أحد أتباعه ووالي أمور^(٤) مذحج له وقال في هجاء فروة^(٥) :

وجدنا ملكَ فروة شرَّ ملكٍ حمارٌ سافَ منخره بقذر
وإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وختر^(٦)
وكان النبي ﷺ قد ولى^(٧) خالد بن سعيد صدقات اليمن ويقال^(٨) إنه

(١) القبطية : ثياب بيض رقاق من كتان تُتخذُ بمصر .

(٢) الأغاني ٢٠٩ / ١٥ .

(٣) انظر الكامل في التاريخ ٢ / ٢٢٧ .

(٤) تاريخ أبي الفدا ١٦٣ .

(٥) الديوان ١٠٥ .

(٦) الحتر: الغدر .

(٧) الكامل في التاريخ : ٢ / ٢٠٣ .

(٨) أنساب الاشراف : ١٢٨ .

ولاه أمر زبيد خاصة فسار خالد إلى عمرو وقتله فهزمه وهرب عمرو، ولما قتل العنسي، وتوالت الجيوش الإسلامية بقيادة المهاجر بن أمية لقتال المرتدين باليمن عاد إلى حظيرة الإسلام فدخل على المهاجر بن أمية بغير أمان فأوثقه، وبعث به إلى أبي بكر فقال له^(١) أبو بكر رضي الله عنه: أما تستحي أنك كل يوم مأسور أو مهزوم لو نصرت هذا الدين لرفعك الله تعالى قال: لا جرم لأقبلن ولا أعود فأطلقه ورجع إلى قومه ثم عاد إلى المدينة وانضم إلى الجيوش الإسلامية مجاهدا في سبيل الله.

(١) الكامل في التاريخ: ٢/٢٥٦.

جهاده

بعد الفراغ من حروب الردة جهز أبو بكر الجيوش لغزو العراق - حيث
الفرس - والشام - حيث الروم - ولله درها من جيوش انطلقت تقاتل في سبيل
الله وتحامي عن دين الله :

وإنا لقومٌ في الحروب أسودُّها وتنفر عنا عند ذاك أسودُّها^(١)
نحامي عن الدين القويم بنصرةٍ ونرغم أناف العدى ونذودها
لنا الفخر في كل المواطن دائماً بأحمدنا الهادي فذاك سعيدها
ملكنا بلاد الشام ثم ملوكها إلى أن تبدى بالنكال عديدها
يدفعها إلى الجهاد إيمان صادق بعقيدة سليمة جاء بها محمد ﷺ وعبر عن
ثباته عليها بقوله : «^(٢) والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على
أن أدع هذا الذي جئت به حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته» وما
أروعها وأجلها من عقيدة تحت معتنقيها على الجهاد في سبيل الله .

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾^(٣)
﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٤) .
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ
فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٥) .

(١) فتوح الشام ٢/ ٧٣ . أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي .

(٢) السيرة لابن هشام ١/ ٢٦٦ .

(٣) البقرة : ١٩٠ .

(٤) النساء ٧٤ .

(٥) آل عمران ١٦٩ .

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ، أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُذًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ (٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَرْصُوصٌ﴾ (٤).

استعذبوا الموت، واستصغروا العظام، واستخفوا بالأهوال، واقتحموا الأخطار، وزلزلوا الجبال، واندفعوا متغنين بها وعدهم الله من جنات تحت ظلال السيوف لا يريدون الدنيا ومتاعها وإنما يطلبون الآخرة ونعيمها:

وكم كُرْبَةً فَرَجَّتْهَا وَكَرِيهَةً شَدَدْتُ لَهَا أَزْرِي إِلَى أَنْ تَجَلَّتْ (٥)

وقد أضحت الدنيا لديّ ذميمةً وسلّيتُ عنها النفسَ حتى تسَلَّتْ

وأصبح همي في الجِهَادِ وَنَيْتِي فَلِلَّهِ نَفْسٌ أَدْبَرْتُ وَتَوَلَّيْتُ

فلا ثَرْوَةَ الدُّنْيَا [تريد (٦)] اكْتَسَابَهَا إِلَّا إِنَّهَا عَنْ وَفَرَهَا قَدْ تَخَلَّتْ

وماذا أَرْجِي مِنْ كُنُوزِ جَمْعَتُهَا وَهَذَا الْمَنَايَا شُرْعًا قَدْ أَطَلَّتْ

حنوا إلى الجنة فاستهانوا بالموت ولم يبالوا بالقتل :

(١) سورة التوبة آية ٤١ .

(٢) سورة التوبة آية ٣٨ .

(٣) سورة التوبة آية ١١١ .

(٤) سورة الصف آية ٤ .

(٥) الأخبار الطوال/ ١٣٨ لعروة بن زيد الخيل .

(٦) في الأصل نريد .

ولست أبالي إن قتلت لأُنّي أرجي بقتلي في الجنان مقامي^(١)
 وجادوا بأرواحهم رخيصة في سبيل الله طمعا في رضا الله والفوز بجنته :
 سأبذل مهجتي أبدا لأني أريد الفوز من رب كريم^(٢)
 وأضرب في العدا جهدي بسيفي وأقتل كل جبار لئيم
 فإن الخلد في الجنات حق تباح لكل مقدام سليم
 خلفوا ذويهم وراءهم يبكون ولبوا نداء ربهم :
 ألا من مبلغ عني ذُرِجًا فإن الله بعدك قد دعاني^(٣)
 فإن تسأل، فإني مستفيد وإن الخيل قد عرفت مكاني
 وما عذرهم وما حجتهم في التخلف والقعود عن داعي الجهاد^(٤) :
 باتت تُذكرني بالله قاعدةً والدمعُ ينهلُ من شأْنَيْهِمَا سَبَلًا^(٥)
 يا ابنة عمي كتابُ الله أخرجني كُرْها، وهل أُمْنَعَنَّ اللهَ ما فعلا؟
 فإن رجعتُ فربُّ الناسِ يُرجِعني وإن لحِقْتُ بربي فابتغني بدلا!!
 ما كنت أعرج، أو أعمى فَيَعْذِرني أو ضارِعًا من ضنّى لم يستطع حَوْلًا^(٦)
 وقد شارك شاعرنا الفارس عمرو بن معد يكرب في هذه المعارك فأبلى بلاء
 حسنا في كل معركة شهد بها . شهد معركة اليرموك وقيل عنه إنه كان أشرف
 رجل برز وذلك أنه خرج إليه علج فقتله ثم آخر فقتله وهكذا حتى انهزموا
 وأصيب عينه في وقعة اليرموك^(٧) فلم تثنه عن مواصلة الجهاد بل واصل

(١) فتوح الشام ٢ / ٨٤ جميل بن سعيد .

(٢) فتوح الشام ١ / ١٤٠ لجندب بن عامر الطفيل .

(٣) الإصابة ١ / ٤٧٩ للحقان بن ذريح .

(٤) الشعر والشعراء ١ / ٢٩٣ للناطقة الجعدي .

(٥) سبل : هطل .

(٦) الضارع : النحيف الضاوي الجسم ، الضنى : المرض .

(٧) معجم الشعراء ١٦ / ١٩٣ وللناطقة عن الهيثم بن عدي ٣ / ١٩ .

مسيرة المجد والشرف فشهد موقعة الجسر مع أبي عبيد بن مسعود الثقفي^(١).
وشهد وقعة القادسية وكان له فيها شأن عظيم، وكان وأبو سبرة ابن
ذؤيب^(٢) على مذبح. والقادسية معركة من أكبر معارك التاريخ الإسلامي
فتحت للمسلمين بعدها أبواب فارس، وكان سعد بن أبي وقاص قائد
الجيوش الإسلامية، ورستم قائد الجيوش الفارسية وقد التقت الجيوش
بالقرب من الكوفة وقبل نشوب المعركة أرسل القائد العظيم سعد بن أبي
وقاص نفرًا من ذوي الرأي والنجدة كان فيهم شاعرنا عمرو^(٣) بن معد
يكرب، والمغيرة بن شعبة وأمثالهما، وأمرهم بتحريض الناس على القتال.
ويروى أنه قال لعمرو ابن معد يكرب وقيس بن هبيرة، وشرحيل بن
السمط^(٤): «إنكم شعراء وخطباء وفرسان العرب، فدوروا في القبائل
والرايات وحرضوا الناس على القتال».

وأمر القراء بقراءة سورة الأنفال فقرئت وهشت لها قلوب الناس وأقبلوا في
حماسة على الجهاد، ونشب القتال بعد أن كبر سعد التكية الرابعة وظل
مستمرا حتى أنزل الله نصره على المسلمين فأخذ الجيش الفارسي يتهاوى تحت
أقدام البطولة الإسلامية وسالت دماء الأعاجم أنهارا وأخذت قلاعهم
وحصونهم تسقط الواحدة تلو الأخرى.

وقد فعل عمرو بالأعاجم في هذه المعركة الأفاعيل وكاد أن يقتل أكثر من
مرة.

(١) الاستيعاب / ٣٠٢.

(٢) الكامل لابن الأثير ٢٠ / ٣١٠.

(٣) الكامل لابن الأثير ٢ / ٣٢٥.

(٤) الأخبار الطوال / ١٢٢.

يروى أن رجلاً^(١) من الأعاجم رماه بنشابة^(٢) فوقعت في كتفه، وكانت عليه درع حصينة فلم تنفذ، وحمل على العالج فعانقه وسقطا إلى الأرض، فقتله عمرو وسلبه ورجع بسلبه وهو يقول:

أنا أبو ثور وسيفي ذو النون^(٣)

أضربهم ضرب غلام مجنون

يا لزبيد إنهم يموتون

ويروى^(٤) أنه حمل وحده وجعل يضرب الفرس حتى لحق به المسلمون، وقد أصدق به الأعاجم وهو يضرب فيهم بسيفه فنحوهم عنه. وكان يمر بين صفوف المسلمين يحثهم على القتال ويقول لهم^(٥): «كونوا أسداً أغنى شأنه، فإنما الفارسي تيسٌ بعد أن يُلقى نيزكُه^(٦)» «ألزموا خراطينم الفيلة السيوف فإنه ليس لها مقتل إلا خراطينمها^(٧)»، وكانت له طريقة بارعة في القتال كما روي عن نيار بن مكرم الأسلمي^(٨) قال: شهدت القادسية فرأيت يوماً اشتد فيه القتال بيننا وبين الفرس، ورأيت رجلاً يفعل يومئذ بالعدو أفاعيل، يقاتل فارساً ثم يقتحم عن فرسه ويربط مقوده في حقه فيقاتل، فقلت: من هذا جزاه الله خيراً؟ قالوا: هذا عمرو بن معد يكرب.

(١) الأغاني ٢١٦/١٥.

(٢) النشابة: واحدة النشاب، وهي السهام.

(٣) الديوان ١٨٩.

(٤) الأغاني ٢١٧/١٥ والكامل في التاريخ ٣٣٢/٢.

(٥) الأغاني ٢١٥/١٥. البداية والنهاية ٤٥/٧.

(٦) أغنى شأنه: أي كف أمره، النيزك: الرمح القصير.

(٧) الأغاني ٢١٨/١٥.

(٨) الأغاني ٢١٨/١٥.

وكان يفعل هذه الأفاعيل وعمره قد جاوز المائة سنة^(١) وحمل على رستم^(٢) في نفر من المسلمين فقتلوه وافتخر بأنه قاتله^(٣) :

ألم بسلمى قبل أن تظعنَا إن لنا من جبهها دَيْدَنَا^(٤)
قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس إلا أنا^(٥)
شككت بالرمح حيازيمه والخيل تعدو زيبا بيننا^(٦)
وكان عمر بن الخطاب يعده بألف رجل^(٧) وكتب إلى سعد^(٨) بن أبي وقاص بأن يصدر عن مشورته في الحرب . وقد افتخر ببلائه وبلاء قومه^(٩) :
والقادسية حين زاحمَ رستمُ كنا الحماة بهن كالأشطان^(١٠)
الضاربين بكلَّ أبيضٍ مخدَّم والطاعنين مجامع الأضغان^(١١)
ومضى ربيع بالجنود مشرقًا ينوي الجهاد وطاعة الرحمان^(١٢)
قوم هم ضربوا الجابرَ إذ بغوا بالمشرفية من بني ساسان^(١٣)

(١) الأغاني ٢١٨/١٥ والإصابة ٢١/٣ .

(٢) الأغاني ٢١٨/١٥ وتجريد الأغاني ١٦٥ .

(٣) الديوان : ١٧٥ .

(٤) الديدن : الدأب والعادة .

(٥) قَطَرٌ : ألقاه على أحد قُطْرَيْهِ وهما جانباه .

(٦) الحيازيم : جمع حَيْرُومٍ : وهو وسط الصدر وما يضم عليه الحزام . زيم : متفرقة .

(٧) الإصابة ٢٠/٣ .

(٨) أسد الغابة ١٣٣/٤ .

(٩) الديوان : ١٨٧ .

(١٠) الأشطان : الحبال الطويلة الشديدة القتل يُستَقَى بها وتُشد بها الخيل .

(١١) المِخْدَمُ : السيف القاطع ، الضِغْنُ : الحِقد . وقال العسكري في الصناعتين إن قول عمرو : «مجامع الأضغان» أجود من قول البحري «مواطن الكتان» في بيته .

قومٌ ترى أزمانَهم يوم الوَعَى مشغوفة بمواطنِ الكِتْمَانِ

لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم ، فإذا وقع الطعن في موضع الضغن فذلك غاية المراد .

(١٢) ربيع : لعله حنظلة بن الربيع التميمي أحد أبطال معركة القادسية

(١٣) المشرفية : سيوف .

حتى استباح قرى السواد وفارس والسهل والأجبال من مكران
ومضى مع الجيش المسلم فكان على الخيل^(١) عند الهجوم على الأعداء في
وقعة جلولا، وقاتل في معركة نهاوند تحت لواء النعمان بن مقرن المزني وكان
النعمان^(٢) يستشيريه حسب أمر الخليفة عمر قال له يوما: ما عندك يا
عمرو؟^(٣) قال: أروني كبش القوم فأعتنقه حتى يموت أو أموت، وذكر أنه
أصيب في هذه المعركة بجراح أثبتته فحمل ومات برؤفة^(٤).
وهكذا لبى نداء ربه مجاهدا في سبيل الله بعد أن سطر التاريخ له
صفحات مشرقة وضياء من المجد والشرف رضي الله عن الفارس المغوار
والصحابي الجليل والشاعر المجيد عمرو بن معد يكرب الزبيدي.

(١) الأخبار الطوال / ١٢٨ .

(٢) ذيل الأغاني ١٤٤ والإصابة ٢١ / ٣ .

(٣) ذيل الأغاني ١٤٤ .

(٤) معجم ما استعجم ٦٨٥ / ٢ والشعر والشعراء ٣٧٣ / ١ والاستيعاب ١٢٠٢ / ٣ والإصابة ٢٠ / ٣
في رواية . ومعجم البلدان : ٧٨ / ٣ . ورؤفة : قرية بالري ، والري مدينة من أمهات مدن المشرق .

صلاته برجال عصره

لا بد لرجل قضى حياة طويلة مليئة بالأحداث كعمرو بن معد يكرب من أن تتصل أسبابه بأسباب كثيرٍ من الناس يصادق بعضهم ميلاً، حباً له، وإعجاباً به، ويعادي بعضهم نقمة عليه وكراهية له، ويقف من البعض الآخر بين بين.

وإذا استعرضنا الأشخاص الذين أحبهم وأحبوه وأكرمهم وأكرموا وخصمهم وخصموه وحاربهم وحاربوه وجدنا في طليعتهم العباس بن مرداس وقيس بن مكشوح، وسعد بن أبي وقاص، وخالد بن سعيد، وفروة ابن مسيك المرادي، وعمر بن الخطاب.

أما العباس^(١) بن مرداس فكان فارساً، وشاعراً، وشهما نبيلاً شديد العارضة والبيان سيداً في قومه، مطاعاً مخضرم أدرک الجاهلية والإسلام يكنى بأبي الهيثم وأمه الخنساء الشاعرة المشهورة والسيدة الأديبة والصحابية الجليلة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية. أسلم قبل فتح مكة وحسن إسلامه وجاهد مع النبي ﷺ في قومه وقال حين أسلم:

فأمنت بالله الذي أنا عبده وخالفْتُ مَنْ أُمسى يريد المَهالكا^(٢)
ووجهت وجهي نحو مكة قاصداً أباع نبي الأكرمين المَبَاركا
نبي أتانا بعد عيسى بناطق من الحق فيه الفضل فيه كذا
أمين على القرآن، أول شافع وأول مبعوث يُجيب الملائكا
تلافي عُرى الإسلام بعد انتقاضها فأحكمها حتى أقام المناسكا

(١) انظر ترجمته في: الخزائن ١/١٤٥، والإصابة ٢/٢٦٣ والاستيعاب ٣/٢٥٦ والأغاني ١٤/٣٠٢ والشعر والشعراء ١/٣٠٠ و٢/٧٤٦ وشرح شواهد المغني ٩٢٥ وشعر المخضرمين ٢١٣ والأعلام ٣٩/٤.

(٢) البداية ٢/٣٣٤ والأغاني ١٤/٣٠٥.

وقال يفتخر بجهاد قومه ونصرتهم للرسول :

إِذَا أَتَيْتَ عَلَى النَّبِيِّ فَقُلْ لَهُ حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا أَطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ (١)
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطِيَّ وَمِنْ مَشَى فَوْقَ التَّرَابِ إِذَا تَعَدَّ الْأَنْفُسَ
إِنَّا وَفِينَا بِالَّذِي عَاهَدْتَنَا وَالْخَيْلُ تَقْدَعُ بِالْكِمَاءِ وَتَضْرُسُ (٢)
حَتَّى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ فِيلَقَا شَهْبَاءَ يَقْدُمُهَا الْهَمَامُ الْأَشْوَسُ (٣)
وَعَلَى حَنِينٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَمْعِنَا أَلْفَ أَمَدٍ بِهِ الرَّسُولُ عَرْنَدَسُ (٤)
كُنَّا أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيئَةً وَالشَّمْسُ يَوْمئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمُسُ (٥)
نَمْضِي وَيَحْرُسُنَا الْإِلَهِ بِحِفْظِهِ وَاللَّهُ لَيْسَ بِضَائِعٍ مَنْ يَحْرُسُ
وَلَقَدْ حَبَسْنَا بِالْمَنَاقِبِ مُحَبَّبًا رَضِيَ الْإِلَهِ بِهِ فَنَعْمَ الْمُحْسِنُ
وَمَا أَجْمَلَ قَوْلُهُ: (٦)

يَا خَاتَمَ النُّبَاءِ إِنَّكَ مَرْسَلٌ لِلْحَقِّ كُلِّ هَدَى السَّبِيلِ هَذَا
إِنَّ الْإِلَهِ بَنَى عَلَيْكَ مَحَبَّةً فِي خَلْقِهِ وَمَحَمَّدًا سَمَاكَ
وَقَدْ اتَّصَلَ بِهِ شَاعِرُنَا عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرُبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَكِنَّهُ اتَّصَلَ عِدَاوَةً
وَبَغْضَاءَ اتَّصَلَ فِي سَاحَاتِ الْقِتَالِ وَالنُّضَالِ وَدَارَتْ بَيْنَهُمَا مَعَارِكُ وَحُرُوبُ
وَمُنَاقَضَاتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: «(٧) جَمَعَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ بْنُ أَبِي

(١) ابن هشام: ٢٩٧/١ - ٢٩٨ - البداية ٣٤٢/٤.

(٢) تقْدَعُ: تجري. الكِمَاءُ جمع كَمِيٍّ: وهو الشجاع المتكفي في سلاحه لأنه كَمَى نفسه، أي سترها بالدرع والبيضة.

الضَّرْسُ: العض الشديد يقال ضرسهم الزمان: اشتد عليهم.

(٣) الفَيْلَقُ: الجيش، والشَّهْبَةُ في الألوان: البياض الذي غلب على السواد، والشَّوْسُ النظر بمؤخرة العين تكبراً أو تغيطاً.

(٤) العَرْنَدَسُ: الشديد.

(٥) دريئة: سترًا.

(٦) الأغاني: ٣١٥/١٤.

(٧) الأغاني: ٣١٥/١٤.

عامر - وكان يقال للعباس : مقطع الأوتاد - جمعا من بني سليم فيه من جميع بطونها ثم خرج بهم حتى صبح بني زييد بثليث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة ، فقتل فيها عددا كثيرا ، وغنم ملء يديه « وفي العمدة ^(١) : « فصر الفريقان ولم تظفر طائفة منهم بالأخرى » ، وقال في ذلك العباس سينيته :

لأسماء رسمٌ أصبح اليوم دارسا
وأقفر منها رحرحان فراكسا
فأجابه عمرو بقصيدته :
تبدل آراما وعيناً كوانسا
لمن طلل بالعمق أصبح دارسا

ومن اتصل بهم عمرو ابن أخته قيس ^(٢) بن هبيرة - الملقب بمكشوح ^(٣) - ابن هلال البجلي سيد بجيلة وفارسها ، وكان شاعرا يكنى بأبي شداد دعاه عمرو إلى الإسلام بادئ الأمر حين انتهى إليهم أمر الرسول ﷺ وقال له : « يا قيس ^(٤) إنك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقال له نبي ، فانطلق بنا حتى نعلم علمه ، وبادره فروة لا يغلبك على الأمر فأبى قيس ذلك وسفه رأيه وعصاه ، فركب عمرو متوجها إلى النبي ، وقال خالفتني يا قيس » . وقال عمرو في ذلك :

(١) العمدة : ٢ / ٢١٧ .

(٢) انظر في ترجمته : الأعلام ٦ / ٦١ والمرزباني ٢٣٢ والطبري ٣ / ٢٦٩ والروض الأنف ١ / ٢٣٧ .

(٣) في فتوح البلدان ١١٢ أنه سمي بالمكشوح لأنه كوي على كشحه من داء كان به . وفي الروض الأنف ١ / ٢٣٧ : أنه سمي بذلك لأنه ضرب بسيف على كشحه . والكشح بفتح الكاف وسكون الشين ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي .

(٤) الأغاني : ١٥ / ١٦٣

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صُنْعَا ۚ أَمَرًا بَيْنَنَا رَشَدُهُ
 أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ ۚ تَأْتِيهِ وَتَتَّعِدُهُ
 فَكُنْتُ كَذِي الْحُمَيْرِ غَرًّا ۚ هـ مِنْ عَيْرِهِ وَتَرَدُّدُهُ
 وَأَسْلَمَ قَيْسٌ بَعْدَ فِتْرَةٍ وَلَكِنَّهُ عَادَ وَارْتَدَّ مَعَ الْأَسْوَدِ الْعَنْسَى بَعْدَ مَوْتِ
 الرَّسُولِ ﷺ ، وَغَدَرَ بِدَاذُوِيهِ ، وَدَعَاهُ إِلَى طَعَامٍ فَقَتَلَهُ (١) وَكَانَ قَيْسٌ قَبْلَ أَنْ
 يَرْتَدَّ وَفِيروز وَدَاذُوِيهِ مَتَسَانِدِينَ ، وَقَدْ طَارَدَهُ فَيروزُ حَتَّى فَرَّ مِنْهُ ثُمَّ عَادَ إِلَى
 حَظِيرَةِ الْإِسْلَامِ فَكَفَرَ عَنْ رَدَّتِهِ بِمَا بَذَلَهُ مِنْ جُهْدٍ فِي الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ زَمَنَ
 عُمَرَ وَعُثْمَانَ فِي الْقَادِسِيَّةِ وَغَيْرِهَا ، وَحَضَرَ مَعَارِكَ صَفِينَ مَعَ عَلِيٍّ فَقَتَلَ فِي
 إِحْدَاهَا وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي عُمَرَ مَنَاقِضَاتٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَقَدْ قَالُ فِيهِ
 عُمَرُو يَعِيرُهُ غَدْرَهُ بِدَاذُوِيهِ وَفَرَارِهِ مِنْ فَيروزَ :

غَدَرْتُ وَلَمْ تُحْسِنْ وَفَاءً وَلَمْ يَكُنْ لِيَحْتَمِلِ الْأَسْبَابَ إِلَّا الْمَعْوَدُ (٢)
 وَكَيْفَ لِقَيْسٍ أَنْ يَنْوِطَ نَفْسَهُ إِذَا مَا جَرَى وَالْمُضْرَجِيُّ الْمَسْوَدُ (٣)
 فَقَالَ قَيْسٌ يَرِدُ عَلَيْهِ :

وَفِيَتْ لِقَوْمِي وَاحْتَشَدَتْ لِمَعَشَرٍ أَصَابُوا عَلَى الْأَحْيَاءِ عُمَرَا وَمَرْتَدًا (٤)
 وَكُنْتُ لَدَى الْأَبْنَاءِ لَمَّا لَقِيَتْهُمْ كَأَصِيدٍ يَسْمُو بِالْعِزَازَةِ أَصِيدًا
 وَقَالَ عُمَرُو :

فَمَا إِنْ دَاذُوِي لَكُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ دَاذُوِي فَضَحَ الذَّمَّارَا (٥)
 وَفَيروزُ غَدَاةً أَصَابَ فِيكُمْ وَأَضْرَبَ فِي جُمُوعِكُمْ اسْتَجَارَا

(١) الطبري ٣ / ٢٦٧ .

(٢) الديوان : ٨٩ .

(٣) المضرجي : الصقر الطويل الجناح ، والرجل السيد .

(٤) الطبري ٣ / ٢٦٩ .

(٥) الديوان ٩٧ .

وقال قيس مفتخرا مخاطبا عمرًا

فلو لاقيتني لاقيت قِرْنًا وودعت الجباب بالسلام^(١)
لعلك مُوعِدي ببني زبيد وما قامعت من تلك اللئام
ومثلك قد قرنت له يديه إلى اللحين يمشي في الخطام
وقد كانت رابطة القرابة بينهما تدفعهما إلى العتاب والتخفيف من نار
العداوة يقول عمرو:

تمنى أن يــــلاقيني قُيس وددت وأينما منى ودادي^(٢)
فلو لاقيتني ومعى سلاحي تكشف شحم قلبك عن سَواد
إذا لوجدت خالك غير نكس ولا متعلما ضرب الوحاد^(٣)
يقلب للأمر شربشات بأظفار مغارزها حِداد^(٤)
فمن ذا عاذري من ذي سَفاه يَروُدُ بنفسه شر المراد
لقد أسمعت لونا ديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو نارٌ نفخت بها أضواء ولكن أنت تنفخ في رَماد
أريد حيائه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مُراد
ومن يشرب بماء العبلِ يعذر على ما كان من حُمى وِراد^(٥)

(١) سمط اللآلي ٦٤ وأسد الغابة ترجمة قيس .

(٢) الديوان : ٦٢ - ٦٥ .

(٣) النكس : الرجل الضعيف .

(٤) الشَّرْبَتُ : الغليظ الكفين والرجلين .

(٥) العَبْلُ : الهَدْبُ ، وهو كل ورق مفتول مثل ورق الأُطى والأثل ، يقال : أَعْبَلُ الأُطى ، إذا غلظ هَدْبُهُ في القِيطِ واحمر . وفي معجم ما استعجم : ٩١٧ ، أنه نهرٌ لمراد باليمن ولا يشرب منه أحد إلا حُمَ .

الوَرْدُ : يوم الحمى إذا أخذت صاحبها لوقت

والوَرْدُ : خلاف الصدر وهو أيضا : الوَرَاد وهم الذين يردون الماء .

والتقى عمرو بسعد بن أبي^(١) وقاص القائد العربي المشهور والصحابي الجليل وأول من رمى بسهم في سبيل الله وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان عمرو أحد جنوده البارزين في معركة القادسية وأوفده سعد بعد فتح القادسية إلى الخليفة عمر فسأله عمر عن سعد فقال^(٢): «هو لهم كالأب أعرابي في نمرته، أسد في تأمورته^(٣) نبطي في حُبوته، يقسم بالسوية، ويعدل في القضية، وينفر في السرية، وينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة»، فقال عمر، وقد كان سعد قد كتب إليه يُثني على عمرو: لشد ما تقارضتما الثناء.

ومن التقى بهم عمرو أيضا خالد^(٤) بن سعيد بن العاص وهو صحابي من الولاة الغزاة، ومن السابقين إلى الدخول في الإسلام، ولاه رسول الله ﷺ صدقات اليمن وقيل أمر بني زيد خاصة، وقتل يوم مرج الصفر سنة ١٤ هـ. التقى به عمرو وأهدى له سيفه الصمصامة، وقيل بل سلبه منه. وقال فيه:

وهبت لخالد سيفي ثوابا على أم صمصامة أم سيف أم سلام
خليل لم أهبه من قلاه ولكن أم تواهب في أم كرام
خليل لم أكنه ولم يخني كذلك ما خلالي أو ندامي
حبوت به كريما من قریش فسر به وصين عن اللئام

(١) انظر في ترجمته: صفة الصفوة حـ ١٣٨/١ وحلية الأولياء ٩٢/١ وتهذيب بن عساكر ٩٣/٦ وطبقات ابن سعد ٦/٦ والإصابة ترجمة سعد.

(٢) الشعر والشعراء ١/٣٧٢.

(٣) التامرة: عرين الأسد.

(٤) انظر في ترجمة خالد بن سعيد: الإصابة ٤٠٦/١ وطبقات ابن سعد ٦٧/٤ والأعلام ٣٣٧/٢.

«وقيل إن خالدا أعطاه خاتم ذهب كان عليه وقال فيه أيضا :

فقلت لباغي الخير إن تأت خالدا

تسر وترجع ناعم البال حامدا

وممن اتصل بهم عمرو فروة بن مسيك^(١) المرادي وقد كان صحابيا وشاعرا
وسيدا من سادات اليمن أسلم سنة تسع أو عشر واستعمله النبي ﷺ على
مراد ومذحج وزبيد وثبت على الإسلام حين ارتد أهل اليمن مع الأسود
العنسي وتوفي سنة ٣٠ هـ وكانت بينه وبين عمرو عداوة وبغضاء .

(١) انظر في ترجمته : طبقات ابن سعد ١/ ٦٣ والأعلام ٥/ ٣٤٥ والإصابة : ت ٦٩٨٣ ورغبة الأمل
١٠/ ٤ والطبري ٣/ ٢٦٨ .

صفاته وأخلاقه

من خلال أخبار عمرو التي وصلت إلينا، نجده فارساً عملاقاً، ضخماً الجثة يقول عمر بن الخطاب إذا رآه: «الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمراً»^(١) تعجباً من عظم خلقه، قوي الجسم، مفتول العضلات، صلب العود. ، روي: (أنه لما شهر مضاء سيفه بين العرب، طلبه منه بعض الملوك فأخذه، فيقال: إنه ضرب به عنق بعير فلم يصنع شيئاً، فأحضر الملك عمراً وأخبره خبر السيف فقال عمرو: أبيت اللعن! إني أعطيتك السيف ولم أعطك الساعد، وأخذ عمرو عموداً من حديد، فلف عليه رداءه وجاؤوه ببعير، فوضع العمود على عنقه ثم ضربه بالسيف فقطع العمود والعنق»^(٢). وشهد القادسية وقد نيف على مائة السنة^(٣) وأتى له^(٤) بفرس يوم القادسية ضعيفة فطلب غيرها فأتى بفرس فأخذ بعكوة ذنبه وأخلد به الأرض فأقعى الفرس فردّه، وأتى بآخر ففعل به مثل ذلك فتحلحل ولم يقع فقال: هذا على كل حال أقوى من تلك.

وأمسك برجل فرس رجل من العجم وصاحبها يضربها فما قدرت على أن تتحرك من يده. وجاءه رجل بعد أن تقدمت به السن فقال: لأنظرن ما بقي من قوة أبي ثور، فأدخل يده بين ساقيه وبين السرج، وفطن عمرو فضمها عليه وحرك فرسه، فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده حتى إذا بلغ منه قال: يا ابن أخي، مالك؟ قال: يدي تحت ساقك! فخلى عنه.

(١) الأغاني ٢١٣/١٥.

(٢) شرح ديوان أبي تمام: ٢٨٢/٣.

(٣) الأغاني ٢١٧/١٥.

(٤) الأغاني ٢١٧/١٥.

وقال : يا ابن أخي ، إن في عملك لبقية^(١).

وكان أكلوا معدودا من مشاهير أهل الزرد ، دخل^(٢) على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له يا أبا ثور من أين أقبلت ؟ فقال : من عند سيد بني مخزوم أعظمها هامة ، وأمدھا قامة ، وأقلها ملامة ، وأفضلها حلما ، وأقدمها سلما وأجرئها مقدما ، قال : من هو ؟ قال : سيف الله وسيف رسوله خالد بن الوليد قال : وأي شيء صنعت عنده ؟ قال : أتيت زائرا فدعاني بكعب^(٣) وقوس^(٤) وثور^(٥) فقال عمر : وأبيك إن في هذا لشبعا قال : لي أو لك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لي ولك . قال : حلا يا أمير المؤمنين فيما تقول «إني لأكل الجذع من الإبل أنتقيه عظما عظما وأشرب اللبن من اللبن ريثة وصريفا»^(٦).

وقدم على عمر وهو يغدي الناس وقد جفن لعشرة عشرة ، فأقعه عمر مع عشرة فأكلوا ونهضوا . ولم يقم عمرو ، فأقعه معه تكملة عشرة فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو ، فأقعه مع عشرة حتى أكل مع ثلاثين ثم قام . فقال : يا أمير المؤمنين إنه كانت لي مآكل في الجاهلية منعني منها الإسلام ، وقد صررت في بطني صرتين وتركت بينهما هواء فسده قال عمر : «يا عمرو عليك حجارة من حجارة الحرة فسده بها»^(٧) وقال لأخته يوما : أشبعيني إن غدا الكتبية . ولما

(١) الأغاني ١٥ / ٢٢٢ .

(٢) الأغاني ١٦ / ٣٦ (دار الثقافة) والأمل ٢ / ٣٠٣ والاشتقاق لابن دريد : ٢٤ والشريشي ٦٨ / ٢ وذلك مع خلاف يسير في الرواية .

(٣) في الأمالي الكعب : القطعة من السمن وفي الاشتقاق بقية السمن في النحي أو الرب ما يبقى في أسفل النحي .

(٤) في الأمالي والاشتقاق : القوس البقية من التمر تبقى في الحلة .

(٥) في الاشتقاق : الثور ، القطعة العظيمة من الأقط ، وفي الأمالي القطعة من الأقط .

(٦) اللبن : القدح الكبير ، والريثة : اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض فيروب من ساعته ، والصريف : اللبن الذي ينصرف عن الضرع حارا وقت حلبه .

(٧) الأغاني ١٥ / ٢٢١ .

سألته عما يشبعه قال : فرق ذرة وعنز رباعية وكان الفرق يومئذ أربعة أصوع»^(١).

وكان شجاعا بئسا تنطق ملامحه ونظرات عينيه بشجاعة تفوق شجاعة الشجعان وبطولة يعز مثلها على الأبطال ، ترتعد لذكره الفرائص ، خرج مرة يريد الغارة وبينما هو يسير إذ هو بفرس مشدود ورمح مركز ورجل جالس وهو كأعظم ما يكون من الرجال خلقا ، محتب بسيفه فقال له عمرو : خذ حذرك فإني قاتلك ، فقال : ومن أنت ؟ قال : أنا عمرو بن معد يكرب فشقق شهقة فمات^(٢) ، وتغنى بشجاعته وبطولته في غير موضع من شعره ، وشهد له بالشجاعة والفروسية . ففي طبقات ابن سعد أنه فارس العرب^(٣) ، وروى عن أبي عبيدة : أنه قال : عمرو بن معد يكرب فارس اليمن وهو مقدم على زيد الخيل في الشدة والبأس^(٤) . وسأل أبو حاتم الأصمعي عن عمرو فقال^(٥) : هو من الفرسان . وروى أبو عمرو بن العلاء أنه قال : لا يفضل على عمرو فارسا في العرب^(٦) . وذكر المرزباني^(٧) : أنه من فحول الفرسان . ووصفه ابن كثير فقال : أبو ثور أحد الفرسان المشاهير الأبطال ، والشجعان المذاكير^(٨) . وفي الخزانة^(٩) : أنه الفارس المشهور وصاحب الغارات في

(١) الأغاني ٢٠٨ / ١٥ .

(٢) نهاية الأرب للنويري ١٧٦ / ٢ .

(٣) طبقات ابن سعد / ٥٢٥ .

(٤) الأغاني ١٦٢ / ١٥ .

(٥) الموشح ١٢٠ .

(٦) معجم الشعراء ١٦ والإصابة ٢١ / ٣ .

(٧) معجم الشعراء ١٦ .

(٨) البداية والنهاية : ١١٩ / ٧ .

(٩) خزانة الأدب ٤٢٦ / ١ .

الجاهلية والإسلام. وقال الجمحي^(١): فارس اليمن في بني زبيد عمرو بن معد يكرب، وفي الاشتقاق أنه فارس العرب^(٢).

وكان يعترف للشجاع بشجاعته فلم يكن متهورا ولا مغرورا يقول: «^(٣) لو سرت بظعينة وحدي على مياه معد كلها ما خفت أن أغلب عليها، ما لم يلقني حراها أو عبداها. فأما الحران فعامر بن الطفيل وعُتبية بن الحارث بن شهاب، وأما العبدان فأسود بني عبس (يعني عنتره) والسُّليكَ بن السلُكة، وكلهم قد لقيت فأما عامر بن الطفيل فسرّيع الطعن على الصوت، وأما عتبية فأول الخيل إذا أغارت وآخرها إذا آبت. وأما عنتره فقليل الكبوة، شديد الجَلَب^(٤)» وأما السليكَ فبعيد الغارة كالليث الضاري. فاعترف لهؤلاء الأربعة بالشجاعة وبخوفه منهم ووصفهم وصف من عركته الحروب وذاق مرارتها وصبر على بلواها.

وتروى له قصة طريفة يعترف فيها ببطولة ربيعة بن مُكَدَّم سألَه عمر بن الخطاب فقال له: «^(٥) هل كععت^(٦) من فارس قط ممن لقيت؟ قال عمرو: اعلم يا أمير المؤمنين، أني لم أستحل الكذب في الجاهلية، فكيف أستحله في الإسلام؟ ولقد قلت لجبهة من خيلي، خيل بني زبيد، أغيروا بنا على بني البكاء. فقالوا: بعيد علينا المغار. فقلت: فعلى بني مالك بن كنانة، قال: فأتينا على قوم سراة فقال عمر: ما علمك بأنهم سراة؟

(١) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ٢ / ١٩٠.

(٢) الاشتقاق ٤١١ والاستيعاب ٣ / ١٢٠٢.

(٣) الأغاني ١٦٧ / ١٥ (دار الثقافة).

(٤) الجَلَب الصوت.

(٥) الأغاني ٣٧ / ١٦ (دار الثقافة).

(٦) كععت: ضعفت وجبنت.

قال : رأيت خيلهم كثيرة ، وقدوراً مثفاة^(١) ، وقباب آدم ، فعرفت أن القوم سراة . فتركت خيلي حجرة^(٢) ، وجلست في موضع أسمع كلامهم ، فإذا بجارية منهم قد خرجت من خيمتها ، فجلست بين صواحب لها ، ثم دعت وليدة من ولاندها ، فقالت : ادعي فلانا فدعت لها برجل من الحي ، فقالت له : إن نفسي تحدثني أن خيلاً تغير على الحي ، فكيف أنت إن زوجتك نفسي ، فقال : أفعل وأصنع ، وجعل يصف نفسه فيفرط . فقالت له : انصرف حتى أرى رأيي . وأقبلت على صواحباتها ، فقالت : ما عنده خير ، ادعي لي فلانا . فدعت بآخر . فخاطبته بمثل ما خاطبت به صاحبه ، فأجابها بنحو جوابه ، فقالت له : انصرف حتى أرى رأيي وقالت لصواحباتها : ولا عند هذا خير أيضاً . ثم قالت للوليدة ادعي لي ربيعة بن مكدم . فدعته ؟ فقالت له مثل قولها للرجلين ، فقال لها : إن أعجز العجز وصف المرء نفسه ، ولكنني إذا لقيت أعذرت ، وحسب المرء غناءً أن يُعذِر ، فقالت له : قد زوجتك نفسي ، فاحضر غدا مجلس الحي ، ليعلموا ذلك ، فانصرف من عندها ، وانتظرت حتى ذهب الليل ، ولاح الفجر ، فخرجت من مكمني ، وركبت فرسي ، وقلت لخلي : أغيري ، فأغار ، وتركها وقصدت نحو النسوة ومجلسهن ، فكشفت عن خيمة المرأة فإذا أنا بامرأة تامة الحسن . فلما ملأت عينها مني ، أهوت إلى درعها فشقتة وقالت : واثكلاه ؟ والله ما أبكي على مال ولا تِلاد ، ولكن على أخت من وراء هذا القَوْز^(٣) تبقى بعدي في مثل هذا الغائط ، فتهلك ضَيْعَةً ، وأومأت بيدها إلى قَوْز رمل إلى

(١) مثفاة : منصوبة على الأثافي ، استعدادا للطبخ .

(٢) ناحية وجانبا .

(٣) القوز بالفتح : الرمل المرتفع المستدير .

جانبهم فقلت : هذه غنيمة من وراء غنيمة . فدفعت رأسي حتى أوفيت على الأنقاء^(١) ، فإذا أنا برجل جَلْدٍ نَجْدٍ ، أَهْلَبَ^(٢) أغلب يخصف نعله ، وإلى جنبه فرسه وسلاحه . فلما رأي رمى بنعله ، ثم استوى على فرسه ، وأخذ رمحاً ، ومضى وما يحفل بي . فطفقت أشجره بالرمح خفقا^(٣) وأقول له : يا هذا استأسر ، فمضى ما يحفل بي . حتى أشرف على الوادي . فلما رأى الخيل تحوي نَعَمَه استعبر باكياً ، وأنشأ يقول :

قَد عَلِمْتَ إِذْ مَنَحْتَنِي فَاهَا
أَنِّي سَأُخَوِّي اليَوْمَ مَنْ حَوَاهَا
بَل لَيْتَ شعري اليَوْمَ مِنْ دَهَاها
فَأَجَبْتَهُ :

عَمَرُوْهُ عَلَى طَوْلِ الوَجَى دَهَاها^(٤)
بِالْخَيْلِ يَحْمِيهَا عَلَى وَجَاهَا
حَتَّى إِذَا حَلَّ بِهَا احْتَوَاهَا

فحمل علي وهو يقول :

أَهْنَ بِنُضْرِ العِيشِ فِي دَارِ نَدَمٍ أَفِيضْ دَمْعاً كُلَّمَا فَاضَ انْسَجَمَ
أَنَا ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ الشَّيْمِ مَوْتَمِنُ الْغَيْبِ وَفِيَّ بِالْذَّمِّ
أَكْرَمُ مَنْ يَمْشِي بِسَاقٍ وَقَدْ كَالَيْتُ إِنْ هَمَّ بِتَقْصَامٍ قَصَمَ^(٥)

(١) الأنقاء : جمع نقاء ، وهي القطعة من الرمل .

(٢) نجد : شجاع ، الأهلَب : الكثير شعر الرأس والجسد .

(٣) شجره بالرمح : طعنه حتى اشتبك فيه . والخفق : الضرب بشيء عريض ، ولعله يقصد أنه يضربه بخرج الرمح لا سنانه .

(٤) الوجى : الحفا وهو أن يرق القدم أو الحافر من طول السفر .

(٥) قصمه : كسره وأبانه .

فحملت عليه وأنا أقول :

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصم أنا ابنُ ذي الأكال قتَّال البُهَم^(١)
من يلقني يـود كما أودت إرم أتركه لحماً على ظهر وَصَم^(٢)
فحمل علي وهو يقول :

هذا حميَّ قد غاب عنه ذائده

الموت وردٌ والأنام وارده

وحمل علي فضر بني ، فرُغْتُ وأخطأت ، فوق سيفه في قَرْبُوس^(٣) السَّرج
فقطعه وما تحته ، حتى هجم على مَنْسَج الفرس . ثم ثنَّي بضربة أخرى ،
فَرُغْتُ وأخطأني فوق سيفه على مؤخر السرج فقطعه حتى وصل إلى فخذ
الفرس وصرت راجلا . فقلت : ويحك من أنت؟ فوالله ما ظننت أحدا من
العرب يُقدم عليَّ إلا ثلاثة : الحارث بن ظالم ، للْعُجْب والخِيلاء ، وعامر بن
الطفيل للسن والتجربة ، وربيعه بن مكدَّم للحدائثة والغرَّة ، فمن أنت
ويلك؟ قال : بل الويل لك . فمن أنت؟ قلت : عمرو بن معد يكرب قال :
وأنا ربيعة بن مكدَّم . قلت : يا هذا ، إني قد صرت راجلا ، فاختر مني
إحدى ثلاث ، إن شئت اجتلدنا بسيفنا حتى يموت الأعجز منا ، وإن شئت
اصطرعنا فأينا صرع صاحبه حكم فيه ، وإن شئت سالمتك وسالمتني . فقال :
فالصلح إذاً إن كان لقومك فيك حاجة ، وما بي أيضا على قومي هوان .
قلت : فذاك لك ، وأخذت بيده ، حتى أتيت أصحابي ، وقد حازوا نَعْمَه ،
فقلت : هل تعلمون أني كُعت عن فارس قط من الأبطال إذا لقيته؟ قالوا :
نعيزك من ذلك . قلت : فانظروا هذا النعم الذي حزتموه ، فخذوه مني غدا

(١) البُهَم : جمع البُهْمَة : وهو الفارس الذي لا يُدرى من أين يُؤتى ، من شدة بأسه .

(٢) الوَصَم : كل شيء يجعل عليه اللحم من خشب أو نحوه ، يوقي به سر الأرض

(٣) قربوس السرج : الجزء المرتفع من مقدمه ومؤخره .

في بني زُبيد، فإنه نَعَم هذا الفتى، والله لا يوصل إلى شيء منه وأنا حي .
فقالوا: لحاك الله من فارس قوم، أشقيتنا حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة
فثأتنا^(١) عنها. فقلت إنه لا بد لكم من ذاك، وأن تهبوها لي ولربيعة بن
مكّدم. فقالوا: وإنه هو؟ قلت: نعم. فردوها وسالمته، فأمن حربي وأمنت
حربه حتى هلك.

وهكذا كان يتمتع برجاحة العقل واتزانة، يجتنب المزالق، ولا يلقي بنفسه
في المهالك، يقدم إذا رأى الإقدام عزما، ويحجم إذا رأى الإحجام حزما
يقول:

ولقد أجمعُ رجلَيَّ بها حذر الموت وإني لفروُرُ
ولقد أعطفها كارهةً حين للنفس من الموت هريُرُ
كل ما ذلك مني خلُقُ وبكل أنا في الحرب جديرُ^(٢)
ويقول:

وليس يعاب المرء من جبن يومه إذا عُرِفَت منه الشجاعةُ بالأمس^(٣)
ويقول:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع^(٤)
وكان داهية في الرأي وصاحب قول ومشورة ولا أدل على ذلك من كتابة
الفاروق إلى سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية، وإلى النعمان بن مقرن في
وقعة نهاوند بأن يصدرا^(٥) عن مشورته، وتلك المواجهة التي دارت بينه وبين
عمر حين أرسله سعد بن أبي وقاص عقب القادسية وأخذ عمر يسأله عن

(١) فثأنا: كنفطنا

(٢) الديوان: ١٠٢.

(٣) الديوان: ١١٩.

(٤) الديوان: ١٤٣.

(٥) أسد الغابة ٤/ ١٣٣ والإصابة ٣/ ٢١.

أحوال المجاهدين وعن سعد في جنده فقال عمرو^(١): هو لهم كالأب،
أعرابي في نمرته، أسد في تامورته^(٢)، نبطي في حبوته، يقسم بالسوية،
ويعدل في القضية، وينفر في السرية، وينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة،
فقال عمر وقد كان كتب إليه سعد يثني على عمرو: لشد ما تقارظتما الثناء!
وسأله عمر عن الحرب، فقال: مُرَّةُ المذاق، إذا قَلَّصْتَ^(٣) عن ساق، من
صبر فيها عُرِفَ ومن ضعف عنها تَلَفَ ثم قال:

الحربُ أَوَّلُ ما تكون فتيةٌ تسعى بزيتها لكل جهول
حتى إذا حميت وشب ضرامُها عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت شعرها وتنكرت مكروهةً للشم والتقبيل
وسأله عن السلاح فقال: الرمح^(٤) أخوك، وربما خانك، والنبل منايا
تخطئ وتصيب، والترس هو المجن، وعليه تدور الدوائر، والدرع مشغلة
للفارس متعبة للراجل، وإنها الحصن حصين.
وردد البصر في تلك المقابلة الأخرى التي دارت بينه وبين عمر أيضا
فستجده يأسر لبك بإدراكه وفهمه ودرايته.

قال عمر بن الخطاب - رحمه الله - لعمر بن معد يكرب: يا أبا ثور، إن
أهل اليمن لا ينكرون أنك فارسهم وأنجد رجالهم المعدودين في الجاهلية،
فكيف علمك بهم؟ قال عمرو: أنا أعلم الناس بالناس، قد أغرت عليهم
وأغاروا علي، وغزوتهم وغزوني، وهم - يعني أهل اليمن - أرباب العرب

(١) الشعر والشعراء ١/ ٣٧٢ - ٣٧٣.

(٢) التامورة: عرين الأسد.

(٣) قلصت: شمرت.

(٤) الشعر والشعراء: ١/ ٣٧٣ والعقد الفريد ١/ ١٧٩ وحلية الفرسان ٢٣٦ وعيون الأخبار

١٢٩ - ١٣٠.

شربوا الصفو. ورعوا الصفو قال : ما تقول في كندة؟ قال : أرباب الملوك أعظمنا أحلاما، وخيرنا أياما، قال : ما تقول في الأزدي؟ قال : هم أشد الناس ، أقدمنا ميلادا وأثبتنا عمادا، قال : فما تقول في غسان منها؟ قال : أقتلنا للجبابرة وأملأنا للمنابر قال : فما تقول في الأوس والخزرج منها؟ قال : أعزنا دارا وأمنعنا جارا وأولنا إسلاما وأكثرنا غلاما، قال : فما تقول في خزاعة منها؟ قال : خيرنا للقريب وأمنعنا للغريب قال : فما تقول في أزد السراة منها؟ قال : أحدنا في اللقاء وأصبرنا في البلاء، قال : فما تقول في أزد عمان منها؟ قال : أنزلنا للبراح^(١) وأطعننا للرماح، قال : فما تقول في بلحارث بن كعب؟ قال : أقتلنا للطاغية وأوهبنا للغالية^(٢) قال : فما تقول في همدان، قال : أحلاس الخيل^(٣) وعدة القليل، أطلبنا بالقتيل وأنصرنا للذليل .

قال فما تقول في قضاعة؟ قال : هامة العرب، أطولنا عنانا وأحدنا سنانا، قال : فما تقول في كلب بن وبرة منها؟ قال : أربطنا للخيل وأبذلنا للنيل، قال : فما تقول في عذرة منها؟ قال : أكرمنا رفدا^(٤) وأبذلنا وجدا، فقال : فما تقول في القين منها؟ قال : أعظمنا رقابا وأكرمنا نصاباً، قال : فما تقول في جهينة منها؟ قال : أوثبنا لفرصة وأبعدنا من حيصة^(٥) . قال : فما تقول في نهد منها : قال : أنجدنا فوارس ، وأعقنا مجالس قال : فما تقول في جرم منها؟ قال أخوفنا صباحا وأطولنا رماحا . قال : فما تقول في سليح منها؟ قال : أولنا مطعنا وأطولنا في الملك مرحبا . قال : فما تقول في خولان منها؟ قال : أحدنا

(١) البرّاحُ : المتَّسِعُ من الأرض لازرع فيها ولا شجر.

(٢) الغالية : النفيس من الأشياء .

(٣) في الحديث : «كن حلس بيتك» أي لا تبرح .

(٤) الرِّفْد : العطاء والصلة .

(٥) حاص عنه يحيص حيصة وحيوصا ومحيصا ومحاصا وحيصانا عدل وحاد .

حدا وأجدنا جدا، قال : فما تقول في لحم؟ قال : غيث العرب والملوك في الحُقب^(١) قال : فما تقول في جذام . قال : سباع الشر وأهل الصبر عند الكر . قال : فما تقول في طيئ قال : أظفرنا مغيرا وأفضلنا مجيرا ، قال . فما تقول في عاملة قال : أطلبنا للطائلة وأخفرنا للسائلة وأعدلنا للمائلة . قال : فما تقول في الأشعرين؟ قال أكثرنا أموالا وأعزنا رجالا . قال : فما تقول في مراد؟ قال : أعظمنا خلقا وأفضلنا رزقا . قال : فما تقول في عنس؟ قال : أقرنا للضيف وأضربنا بالسيف . قال : فما تقول في الهميع بن حمير؟ قال : أقدمنا ملكا وآخرنا هلكا . قال : فما تقول في سعد العشيرة يا أبا ثور؟ فضحك عمرو حتى قهقهه ، قال : هم سنام والناس أجسام . فتبسم عمر من مقالته؟ وقال : احفظوا عن أبي ثور مقالته فليس مثلها يضيع^(٢) .

وكان صاحب مروءة وعفة يبتعد عن الأخلاق السيئة ويصد عنها . فأعددت ذاك وكنت امرأاً أصد عن الخلق الفاحش وفوق هذا كله فهو حلیم سمح الأخلاق وأقرأ قوله :
يبرونَ عظمي وهمي جَبْرُ أعْظَمِهِم شتان ما بيننا في كل ما سبب
أهوى بقاءهم وأكثر ما يهون أن أغتدي في حفرة امترب
هذا وجاء في الأغاني ، أنه شرب الخمر مع عيينة بن حصن بالكوفة ، وأنه هجا سعد بن أبي وقاص ، وأنه كان مشهوراً بالكذب^(٣) .

ويغلب على الظن ، أن هذه الروايات ليست بصحيحة فلم يروها إلا صاحب الأغاني فيما أعلم ، وكتاب الأغاني ليس من كتب الثقات حيث ورد

(١) الحُقب : السنون والحُقب بضمّتين الدهر وجمعه أحقاب .

(٢) الإكليل ٢/ ٢٢٣ - ٢٢٧ .

وردت هذه القصة في مروج الذهب ٢/ ٣٣٢ مع خلاف يسير في السياق .

(٣) الأغاني : ١٧٠ / ١٥ .

في تاريخ بغداد^(١): «أن أبا الفرج كان من أكذب الناس . كما أنه من خلال استعراضنا لسيرته - يعني عمراً - نجد بعض الأبيات التي يعترف فيها للشجاع بشجاعته ، وبعض الأبيات التي يعترف فيها بفراره من الأبطال ، وقصة يذكر فيها أنه كان لا يستحل الكذب في الجاهلية فكيف يستحله في الإسلام^(٢) .

وهكذا فمهما يكن من أمر فقد كان إماما في الشجاعة ، وإماما في قول الشعر ، وإماما في رجاحة العقل وإماما في قوة الشخصية ، وإماما في ضخامة الجسم ، وإماما في حسن الخلق .

(١) تاريخ بغداد : ٣٩٩ / ١١ .

(٢) الأغاني : ٣٧ / ١٦ .

الصَّمْصَامَةُ

الصَّمْصَامَةُ : اسم سيف عمرو، وقد ورد معناه في المعاجم اللغوية أنه السيف الصارم الذي لا ينثني . قال الجوهري : الصَّمْصَامُ والصَّمْصَامَةُ السيف الصارم الذي لا ينثني^(١) وقال ياقوت : سيف صمصام وصمصامة : صارم لا ينثني^(٢) وورد في تاج العروس أنه السيف الذي لا ينثني في ضريبته^(٣) وقال الليث : الصمصامة اسم للسيف القاطع والليل^(٤) وذكر الفيروز آبادي : أنه السيف الذي لا ينثني^(٥) وعند الزمخشري أنه الماضي في الضريبة^(٦).

وجاء في وصفه أنه «كان له حد من جانب وجانبه الآخر حاف لا يقطع»^(٧) وأن وزنه ستة أرتال^(٨). وذكر الطبري أنه صفيحة موصولة من أسفلها مسمورة بثلاث مسامير تجمع بين الصحيفة الصلة^(٩)، وورد أن حديدته من جبل نقم^(١٠) وقيل إنه صنع من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة^(١١). وورد أن طوله سبعة أشبار وافية وعرضه شبر^(١٢).

(١) تاج اللغة وصحاح العربية ٣٠٦/٢.

(٢) لسان العرب ٣٤٧/١٢.

(٣) تاج العروس : ٣٧٠/٨.

(٤) لسان العرب ٣٤٧/١٢.

(٥) القاموس المحيط ١٤١/٢.

(٦) أساس البلاغة ٢٥٩.

(٧) حلية الفرسان ١٩١/٧.

(٨) ديوان المعاني للعسكري ٥٣/٢.

(٩) تاريخ الطبري (م دار القاموس) ١٧/١١.

(١٠) ملوك حمير / ٩٣ والإكليل ٢٥٧/٨.

(١١) الروض الأنف ٢٣٩/١.

(١٢) وحي القلم ٢٦٥/٢.

وروي أنه لما اشتهر أمر السيف ، طلبه منه بعض الملوك فأخذه ، فيقال : إنه ضرب به عنق بغير فلم يصنع شيئاً ، فأحضر الملك عمرًا وأخبره خبر السيف ، فقال عمرو: أبيت اللعن! إني أعطيتك السيف ولم أُعطك الساعد ، وأخذ عمرو عمودا من حديد ، فلف عليه رداءه ، وجاؤوه بغير فوضع العمود على عُنقه ثم ضربه بالسيف فقطع العمود والعنق ، فرد الملك السيف^(١).

وقد كثرت الأخبار حوله ومن كان يملكه قبل أن يصير إلى عمرو ، فذكر الهمداني ونشوان الحميري : أنه من بقايا السيوف الحميرية اليرعشية التي أحدثها شمر يرعش بن أبقيس بن أبرهة ذي المنار بن الحارث الرائي^(٢) وأنه كان لعلقمة^(٣) بن ذي قيفان الأصفر من ولد ذي بيح^(٤) بن ذي قيفان الأكبر . وقد أيدهما في ذلك عمرو في شعره فقال :

وسيف لابن ذي قيفان عندي تخيره الفتى من عهد عاد^(٥)
وملكه عمرو باهبة من علقمة^(٦) . وقيل إنه^(٧) وفد على علقمة بن ذي قيفان في وفود كهلان فقتله ويدل على ذلك قول الأجدع بن مالك :

(١) ديوان أبي تمام ٢٨٢ / ٣ .

(٢) الإكليل ٢٥٧ / ٨ وملوك حمير / ٩٣ .

(٣) الإكليل ٣٠٢ / ٢ وملوك حمير / ٩٣ .

(٤) معنى ذي بيح : ذو خيرة القوم وشرفهم وفي كلام أهل صنعاء القديم وكلام حمير : هو بيح القوم أي أكملهم وخيرهم وكان علقمة ملكا بعمران من أرض البون ، الإكليل ٣٠٣ / ٢ .

(٥) الديوان - ٦٣ : وفي الاشتقاق لابن دريد ٥٣١ : أنه ذو قيفان بن علس بن جدن . وقيفان : فعَلان من القَفَن ، والقَفَن : دُخول الرأس في العنق والصدر .

(٦) ملوك حمير / ٩٣ .

(٧) هامش الإكليل عن نص وجده المحقق في النسخة المخطوطة ٣٠٥ / ٢ .

أذل ابن ذي قيفان عمرو بضربة على الرأس بالصمصام والناس حضر
بَنَى لكم يا مدحج العز فاعلموا مفاخركم عمرو على الناس فافخروا
وهناك رواية ثالثة تجعل الصمصامة يصير إلى زيد بن مرب الهمداني قبل
أن يصل إلى عمرو بن معديكرب يقول الهمداني^(١) «كان علقمة ضرير البصر
وكانت همدان حرسه وحاشيته، وكان نديمه زيد بن مرب . . فمرت جبة
علقمة بن ذي قيفان وقد أخذوا الأتاوة من بعض قبائل هوازن وانصرفوا
يريدونه بها، فعرضت لهم شاكرونهم ابنا ربيعة، وكانوا في خمصة، فطلبوا
بعض ذلك العقل، فحالت الجبة دونه فقتلوه وأخذوا الإبل، فبلغ ذلك
ابن ذي قيفان، فغضب لذلك غضبا شديدا وآلى بألية^(٢) ليقتصن، من
هذين الحين سبعين بكرا لجرأتهم عليه، فأقبل الحيان شاكرونهم، إلى زيد
ابن مرب، وهو في منزله . . فقالوا أنت سيدنا وأنت نديم الملك وجليسه
وقد آلى بما تعلم، والله لا يصل إلى أخواتنا وبناتنا ومنا رجل حي، فأسأله
فليصفح عنا لك: فقال: إنه قد آلى ولا يرجع عن أليته، قالوا: فإن أبي
فاقتله ونحن نملكك علينا؟ قال: لا تعجلوا وامهلوا حتى أرى لذلك
موضعا، فأمسكوا. فبينما زيد جالس مع علقمة، إذ جرى ذكر السيوف،
فقال علقمة: عندي سيف لأجدادي يضرب به المثل، فقال زيد: أبيت
اللعن، فادع به لأنظر إليه، فدعا به، فنظر إليه علقمة ساعة، ثم ناوله زيدا
فنظر إليه فإذا فيه كتاب مزبور^(٣)، قال أبيت اللعن، ما هذا الكتاب؟ قال
عليه مكتوب «ضرس العير سيف الخير باست من وقع بيده، فلم يغضب
لقومه» وقيل: كان فيه مكتوب:

(١) الإكليل ٢/ ٣٠٢.

(٢) الألية: الحلف والعهد.

(٣) في القاموس: الزبور: الكتاب بمعنى المزبور.

ذكر على ذكر بكف مضارب ذكر يمين في يمين يمان
فهزه زيد ساعة ثم ضربه به فقتله ووُثبت همدان فألبسوه التاج الذي على
ابن ذي قيفان وملكوه عليهم . . . ثم إن همدان أصابت من زييد نفرا في
عصر قيس بن زيد، فطالبتهم مذحج بالعقل إن كان الصمصامة أو قود
الرجال، فدفع قيس إليهم الصمصامة، فاستأثر به معد يكر، وأرضى
قومه من ماله .

ويقال: بل استلبته زييد من قيس في طريق عكاظ، فأحشوا همدان في
ذلك غضبا، واحتقبوها^(١) على زييد فلما مر عمرو بن معد يكر بديار سفيان
ابن أرحب، يريد إلى صهره الأجدع بن مالك الوادعي، عدت عليه بنو
الأصيد فأخذوا لأمته وفرسه، ثم صار - أي الصمصامة - إلى عمرو بن معد
يكر فكان يشهد به الوقائع . . . » .

وظل عنده حتى صار إلى خالد بن سعيد^(٢) بن أبي العاص . وقيل
لسعيد^(٣) بن أبي العاص، وقد نفى محقق الجزء الثاني من الإكليل^(٤) الأستاذ
علي الأكوع أن يكون سعيد الذي صار إليه السيف، وذلك أن سعيدا هذا
استشهد بالطائف ولم يذكر أصحاب التواريخ أنه قتل في مرج الصفر، وإنما
الذي قتل هناك خالد بن سعيد، كما لم يأت له ذكر في تواريخ اليمن أو أنه

(١) أحشوا: اغضبوا . احتقبوها: ادخروها واحتفظوا بها .

(٢) ثمار القلوب ٤٩٧ والمعارف (دار الكتب) ٢٩٦ والأغاني ١٦٥ (دار الثقافة) وأنساب
الأشراف/ ١٢٨ وفتوح البلدان عن ابن الكلبي ١٢٥ ومعجم ما استعجم ٢/ ٦٥٠ وأسد الغابة -
عمرو - ٤/ ١٣٣ والعبر ٢/ ٨٤٤ والإصابة عمرو والمستطرف ١/ ٢٢٦ والطبري (دار القاموس)
٢٦/ ٣ والاشتقاق ٧٨ والروض الأنف ١/ ٢٣٩ .

(٣) الإكليل ٢/ ٣٠٨ ولسان العرب ١٢/ ٣٤٨ مادة صمم ومعاني العسكري ٢/ ٥٣ وزهر الآداب
٧٨٠/ ٢ .

(٤) هامش الإكليل ٢/ ٣٠٨ .

تولى شيئاً منها . وذكر عمرو في شعره أنه أهداه لخالد بن سعيد يقول^(١) :
وهبتُ لخالدٍ سيفي ثواباً على أم صمصامة أم سيف أم سلام
خليلٌ لم أهبه من قـلاه ولكن أم تـواهب في أم كـرام
خليلم لم أـخـنـه ولم يـخـني كـذلك ما خـلا لي أو نـدامي
حبوت به كريماً من قریش فـسـر به وصـينَ عن اللـثام
وكنْتُ إذا نهضت به لقـوم تجاوب صـوتُ نوح بالندام
غير أن الطبري وابن الأثير وابن خلدون يذكرون أن خالدا سلب عمرا
الصمصامة وورد في الإصابة أن خالدا وهب سبي زبيد لعمرو فأهدى إليه
الصمصامة

ويرى فريق أن عمراً أهداها إلى خالد لما منَّ على أخته ریحانه بعد أن
سبها^(٢) . ويروي البلاذري عن ابن الكلبي أن خالدا سبى امرأة عمرو
وعدة من قومه فعرض عليه عمرو أن يمن عليهم ويسلموا ففعل وفعلوا
فوهبه عمرو سيفه الصمصامة^(٣) .

وروى العسكري في معانيه عن الهيثم بن عدي أن سعيد بن العاص قال
وهو بالكوفة لعمرو بن معد يكرب هبني الصمصامة فإنك قد ضعفت عن
حملة . فقال عمرو: ما ضعفت قناتي ولا جناني ولا لساني وإن اختل جثماني
وهو لك على أنه أوحش من لا يؤنسه وأظلم من لا يقبسه^(٤) .

وجاء في الإكليل أن النبي ﷺ جهز سعيد بن أبي العاص إلى اليمن
- ويقال خالد بن سعيد - من طريق نجد فمر ببني زبيد فنزله عمرو وأكرمه ،

(١) الديوان : ١٦٢ .

(٢) معجم ما استعجم ٢/ ٦٥٠ ، الأغاني ١٥/ ١٦٥ (دار الثقافة) والروض الأنف ١/ ٢٣٩ .

(٣) فتوح البلدان / ١٢٥ .

(٤) ديوان المعاني ٢/ ٥٣ .

فسأله سعيد الصمصامة بيعاً أو هبة ، فوهبه إياه . . ثم لم يزل مع سعيد بن أبي العاص حتى قتل يوم مرج الصفر^(١).

وفي أنساب الأشراف أن عمراً وهب لخالد بن سعيد بن العاص سيفه الصمصامة وقال :

حبوت به كريماً من قریش فسر به وصين عن اللئام
فأعطاه خالد خاتم ذهب كان عليه وكان خالد والي رسول الله ﷺ على
صدقات اليمن وقيل على أمر بني زبيد خاصة^(٢).

وبعد أن قتل خالد بن سعيد يوم مرج الصفر أخذه معاوية بن أبي سفيان من عنقه ، فنازعه فيه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية فقضى له به عثمان على معاوية وظل عنده حتى أخذ يوم الدار ، أخذه رجل من جهينة وذهب به إلى صيقل ليجلوه فأنكر الصيقل أن يكون للجهني مثله فأتى به مروان بن الحكم وهو والي المدينة فدفعه إلى سعيد بن أبي العاص وبقي عند عمرو بن سعيد الأشدق وهو على مكة حتى هلك ثم عند عمرو ابن سعيد ولما قتل عمرو أخذ السيف محمد بن سعيد أخوه لأبيه ، ثم صار إلى يحيى بن سعيد ثم إلى عنبسة بن سعيد بن العاص ثم إلى سعيد بن عمرو ابن سعيد ثم إلى محمد بن عبد الله بن سعيد ثم إلى إبان بن يحيى بن سعيد فحلاه بحلية ذهب فكان عند أم ولد له^(٣).

ويروي صاحب المستطرف نقلاً عن الزمخشري أن خالد بن عبد الله القسري اشتراه بهال جزيل من آل سعيد لهشام وكان قد كتب إليه فيه فلم يزل

(١) الإكليل ٢٠٨/٢ .

(٢) أنساب الأشراف ١٢٨ .

(٣) فتوح البلدان عن هشام بن محمد الكلبي / ١٢٥ - ١٢٦ والإكليل ٣٠٩/٢ - ٣١٠ .

عند بني مروان ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدي فلم يجدوه فجد الهادي في طلبه حتى ظفر به^(١).

وذكر الهيثم^(٢) بن عدي والهمداني^(٣) والحصري^(٤) أنه اشترى للهادي من آل سعيد بهال جسيم، وقال ابن الكلبي: إن أيوب بن أبي أيوب بن سعيد ابن عمرو بن سعيد باعه من المهدي أمير المؤمنين بنيف وثمانين ألفا فرد المهدي حليته عليه^(٥).

وروى الأصبهاني عن أبي عبيدة أنه قال: ^(٦)أصعد المهدي من البصرة فلما كان بواسط بعث إلى سعيد فيه، فقال: إنه للسبيل^(٧) فقال: خمسون سيفاً قاطعاً أغنى من سيف واحد. فأعطاهم خمسين ألف درهم وأخذه.

وذكر الطبري^(٨) أنه أهدي إلى موسى الهادي، وروى المسعودي^(٩) عن الهيثم بن عدي أن المهدي وهبه للهادي. وجاء في شرح ديوان^(١٠) أبي تمام للتبريزي أن الصمصامة صار إلى آل سعيد في الإسلام. فلم يزل عندهم حتى أخذه من بعض ولده موسى الملقب بالهادي. وقد أعجب به الهادي ودعا الشعراء إلى وصفه فوصفه أحدهم واختلف في الوصف فهو عند

(١) المستطرف ١/ ٢٠٤ عن ربيع الأبرار ٣/ ٩٧.

(٢) وفيات الأعيان ٥/ ١٩٥.

(٣) الإكليل: ٢/ ٣١٠.

(٤) زهر الآداب ٢/ ٧٨٠-٧٨١.

(٥) فتوح البلدان ١٢٦.

(٦) الأغاني ١٥/ ٢١٢.

(٧) أي المعتمد والأيد والفخر.

(٨) تاريخ الطبري (م دار القاموس) ١١/ ١٧.

(٩) مروج الذهب ٣/ ٣٤٥.

(١٠) شرح ديوان أبي تمام ٣/ ٢٨٢.

الطبري^(١) سلم الخاسر، وفي الحيوان^(٢)، والوحشيات^(٣) في إحدى روايتها وفتوح^(٤) البلدان عن ابن الكلبي. وثمار^(٥) القلوب، وسمط^(٦) اللآلي: أبو الهول الحميري.

وعند المسعودي^(٧) والعسكري^(٨)، وابن خلكان^(٩) عن الهيثم بن عدي^(١٠)، والعقد الفريد، والوحشيات^(١١) في روايتها الثانية والنويري^(١٢)، والحصري^(١٣): ابن يامين، وعند الشريشي^(١٤) ابن إياس، وفي حلية الفرسان^(١٥): أنس.

أما صاحب الإكليل^(١٦) فأورد الأبيات وذكر أنه قيل: إنها لابن يامين ولكن الثابت عنده أنها لأبي الهول الحميري. كما أورد أبياتا أخرى لسلم الخاسر في وصفه.

-
- (١) تاريخ الطبري (م دار القاموس) ١٧/١١.
 - (٢) الحيوان ٨٧/٥.
 - (٣) الوحشيات ١٨٠.
 - (٤) فتوح البلدان ١٢٦.
 - (٥) ثمار القلوب ٤٩٨.
 - (٦) سمط اللآلي ٦٠٤.
 - (٧) مروج الذهب: ٣/٣٤٥.
 - (٨) ديوان المعاني: ٢/٥٢.
 - (٩) وفيات الأعيان: ٥/١٥٩.
 - (١٠) العقد الفريد: ١/١٨٠.
 - (١١) الوحشيات / ٢٨٠.
 - (١٢) نهاية الأرب للنويري ٥١٣/٦.
 - (١٣) زهر الآداب ٧٨/٢.
 - (١٤) شرح مقامات الحريري البصري: ٤/٢١٠.
 - (١٥) حلية الفرسان وشعار الشجعان ٨١٨٩.
 - (١٦) الإكليل ٣١٠/٢.

ويبدو أن الرواية الراجحة في نسبة النص رواية الإكليل فقد أورد الأبيات ورجح أنها لأبي الهول وليست لابن يامين، وذكر لسلم الخاسر أبياتا أخرى غير الأبيات التي اختلف في قائلها. وأبيات أبي الهول:

حاز صمصامة الزبيدي من يد — من جميع الأنام موسى الأمين^(١)
سيف عمرو وكان فيما سمعنا خير ما أغمدت عليه الجفون
أخضر اللون بين حدّيه بردٌ من دُباح تَميس فيه المنون^(٢)
أوقدت فوقه الصواعق نارا ثم شابت فيه الدُعافُ القيون^(٣)
فإذا ما سللت بهر الشمس ضياءً، فلم تكذّ تستين
مايالي من انتضاه لضرب أشمالٍ سطت به أم يمين
يستطير الأبصار كالقبس المشعل ما تستقر فيه العيون
وكان الفرند والجوهر الجا رى في صفحتيه ماءً معين^(٤)
نعم مخراق ذي الحفيظة في الهيء جاء يُعصى به ونعم القرين
أما أبيات سلم الخاسر فهي:

يا لقومي بقلبي المفتون أو لطيف يزور أو يعتريني^(٥)
مات قبلي قبل الممات وقد طال حنيني إلى قليل الحنين
إن صمصامة الذي شهر الناس وأفنى القرون بعد القرون

(١) وفيات الأعيان ١٥٩/٥ - ١٦٠ (جميعها) وزهر الآداب ٧٨/٢ جميعها وفتوح البلدان ١٢٦ ب
١/٢/٣/٥/٦/٩ ومروج الذهب ٣/٣٤٥ - ٣٤٦ ب ١/٢/٤/٥/٦/٨ وديوان المعاني
٢/٥٢ عدا الثالث والوحشيات ٢٨٠ عدا الثامن وحلية الفرسان وشعار الشجعان ١٨٩ عدا
السابع والعقد الفريد ١/١٨٠ - ١٨١ عدا السابع والإكليل ٢/٣١٠ - ٣١١ عدا السابع.

(٢) الذباح: بالضم نبت قاتل والمنون: الموت.

(٣) الدُعافُ: السُم، والقيون جمع قين وهو الحداد.

(٤) الفرند: بكسر الفاء والراء جوهر السيف.

(٥) الإكليل: ٢/٣١٢ - ٣١٣.

كان سيفاً من الصواعق مَبْدَاهُ على مضربيه أم المنـون لم يصب ربه من الناس حتى صار في حيز الرشيد الأمين فاحتواه دون البرية موسى إن موسى قدام دنيا ودين ويسوق الرجال ليس يبالي وقت حين ضربت أو غير حيني فهو والموت سامعان إذا ما قال موسى عند الضريبة بيني فإذا ما ارتديت صمصامة السـيف على ابن الشليل فوق المتون لم تبل أن تقول عودا وبدا للمنايا من حيث شئت فكوني فرس من نتاج برق ورعد وحسام في الموت جم الفنون وبعد انتهاء الشاعر من الأبيات قال له الهادي : أصبت والله ما في نفسي واستخفه الطرب ، فأعطاه السيف ومكتل بدره^(١) . ثم اشتراه منه بخمسين ألفا^(٢) وفي الإكليل أنه اشتراه منه بضعف ما اشتراه من آل سعيد وصيره في الخزانة^(٣) .

ويرد ذكر السيف بعد ذلك في عهد الرشيد إذ يروى^(٤) : (أن ملك الهند بعث إلى هارون الرشيد بسيف قَلْعِيَّة ، وكلاب سيورية ، وثياب من ثياب الهند . فلما أتته الرسل بالهدية أمر الأتراك فصفوا صفين ، ولبسوا الحديد حتى لا يرى منهم إلا الحدق^(٥) ، وأذن للرسل فدخلوا عليه ، فقال لهم : ما جئتم به ، قالوا : هذه أشرف كسوة بلدنا ، فأمر هارون القطاع بأن يقطع منها جلالا وبراقع كثيرة لخيـله ، فَصَلَّبَ الرِّسْلَ على وجوههم ، وتذموا من ذلك

(١) وفيات الأعيان ٥ / ١٦٠ .

وفي مختار الصحاح . المكتل «شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعا»

(٢) مروج الذهب ٣ / ٣٤٦ .

(٣) الإكليل ٢ / ٣١٢ .

(٤) العقد الفريد : ٢ / ١٠٣ - ١٠٤ والشريشي ٤ / ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٥) حدقة العين : سوادها والجمع حدق وحداق وأحداق .

ونكسوا رؤوسهم ، ثم قال لهم الحاجب : ما عندكم غير هذا؟ قالوا له : هذه سيوف قلعية لا نظير لها . فدعا هارون بالصمصامة سيف عمرو بن معديكرب ، فقطعت به السيوف بين يديه سيفاً سيفاً ، كما يقط الفجل ، من غير أن تنثني له شفرة ، ثم عرض عليهم حد السيف فإذا لا فل فيه ، فصلب القوم على وجوههم ، ثم قيل لهم : ما عندكم غير هذا؟ قالوا : هذه كلاب سيورية لا يلقاها سبع إلا عقرتة ، فهي كما ذكرتم ، ثم أمر بالأسد فأخرج إليهم ، فلما نظروا إليه هاهم ، وقالوا ليس عندنا مثل هذا السبع في بلدنا؟ قال لهم هارون : هذه سباع بلادنا ، قالوا : فنرسلها عليه ، وكانت الأكلب ثلاثة ، فأرسلت عليه فمزقته . فأعجب بها هارون ، وقال لهم : تمنوا في هذه الكلاب ما شئتم من طرائف بلدنا؟ قالوا : ما نتمنى إلا السيف الذي قطعت به سيوفنا ، قال لهم : ما كنا لنبخل عليكم ، ولكنه لا يجوز في ديننا أن نهادىكم بالسلاح ، ولكن تمنوا غير ذلك ما شئتم؟ قالوا : ما نتمنى إلا السيف؟ قال : لا سبيل إليه ، ثم أمر لهم بتحف كثيرة وأحسن جائزتهم .

كما يرد ذكر السيف أيضاً في عهد الواثق إذ يروى : أنه^(١) قتل أحمد بن نصر بالصمصامة سيف عمرو بن معديكرب ، وأنه^(٢) دعا له بصيقل وأمره أن يسقيه ، فلما فعل ذلك ذهب ماؤه الأول ولم يعرف الصيقل حقيقة سقيه ففسد وتغير وتنقطع بعد ذلك أخبار الصمصامة .

وهناك سيف آخر لعمرو يعرف بذي النون^(٣) ورد ذكره في شعره وافتخر به يقول :

(١) تاريخ الطبري (م دار القاموس) ١٧/١١ والكامل في التاريخ ٢٢/٧ .

(٢) الإكليل : ٣١٢/٢ وفتوح البلدان : ١٢٧ .

(٣) شرح الخطيب التبريزي لديوان أبي تمام ٢٠٥/٣ .

أنا أبو ثور وسيفي ذو النون^(١)
أضربهم ضرب غلام مجنون
يا آل زييد إنهم يموتون

ويقول :

وذو النون الصفي صفي عمرو وكلُّ واردُ الغمرات نامي^(٢)
ويقول أبو تمام من قصيدة له يمدح بها الواثق ويهنته بالخلافة ويرثي
المعتصم :

أو يُفْتَقَدُ ذُو النُّونِ فِي الْهَيْجَا فَقَدْ
رَفَعَ الْإِلَهَ لَنَا عَنِ الصَّمْصَامِ^(٣)

(١) الديوان : ١٨٩ .

(٢) الديوان : ١٦٣ .

(٣) ديوان أبي تمام ٣ / ٢٠٥ .

وفاته

قيل إنه استشهد بالقادسية وقيل إنه مات عطشا بها^(١)، وقال ابن دريد: إنه شهد القادسية ومات على فراشه من حية لسعته^(٢) وهذه أقوال مستبعدة؛ وذلك أن سعد بن أبي وقاص أوفده بعد فتح القادسية إلى عمر ابن الخطاب^(٣). وكيف يوفد سعد رجلا مقتولا؟ كما حصل بينه وبين سعد ابن أبي وقاص خلاف بعد انتهاء معركة القادسية وذلك عند تقسيم الغنائم^(٤) ولو قتل لما حصل هذا الخلاف وقد قال في سعد:

أيوعدني سعد وفي الكف صارم سيمنعني من أن أذل وأخضع
فوالله لولا الله لا شيء غيره لجللته بالصمصام أو يتقطعا^(٥)
كما ذكر الدينوري وابن الأثير أنه شهد وقعة جلولاء التي حدثت بعد القادسية وذلك سنة ١٦ هـ^(٦)، وما روي من أنه شهد معركة نهاوند مع النعمان بن مقرن المزني سنة ٢١ هـ.

والراجح أنه توفي بعد أن شهد معركة نهاوند. قيل إنه قتل بها ودفن هناك وقال المسعودي إن قبره معروف على نحو فرسخ فيما بينها وبين الدينور^(٧) وذكر ابن قتيبة أن الموضع الذي دفن فيه يقال له الاسفيذهان^(٨).

(١) أسد الغابة ٤/ ١٣٣ في إحدى رواياتها والإصابة ٣/ ٢٠ حكاية عن أبي عمرو وحسن الصحابة ١٨٥ وتهذيب الأسماء ١/ ٣٤، والاستيعاب ٣/ ١٢٠٢ حكاية عن أبي عمرو والبداية والنهاية ٧/ ١١٩ في إحدى رواياتها.

(٢) الاشتقاق: ٤١١.

(٣) الشعر والشعراء: ١/ ٣٧٢.

(٤) الأغاني ١٥/ ٢٤٢.

(٥) الديوان: ١٤٤.

(٦) الأخبار الطوال ١٢٨ والبداية والنهاية ٧/ ٧٩.

(٧)، (٨)، (٩): مروج الذهب ٢/ ٣٣٣ والشعر والشعراء ١/ ٣٧٣.

وقيل^(١) وهو الأرجح إنه قاتل بها حتى كان الفتح فأثبتته الجراح فحمل ومات بقرية من قرى نهاوند يقال لها روضة ودفن بها .

وقالت امرأته الجعفية^(٢) ترثيه وقيل دعبل^(٣) :

لقد غادر الركب الذين تحملوا بروضة شخصا لا ضعيفا ولا غمرا
فقل لزبيد بل لمذبح كلها فقدتُم أبا ثور سنانكم عمرا
فإن تجزعوا لا يغن ذلك عنكم ولكن سلوا الرحمن يعقبكم صبرا
وترجيحنا لهذه الرواية وهو أنه مات سنة ٢١ هـ يبطل أيضا قول من قال :
إنه أدرك خلافة عثمان^(٤) والقول القائل : «إنه شهد صفين ، وإنه أدرك خلافة
معاوية^(٥) ، وقد اختلف في سنه وقت وفاته فأبو عبيدة معمر بن المثنى يذكر:
أن عمرو بن معد يكرب شهد القادسية وهو ابن مائة وست سنين ، ويذكر
رواية أخرى وهو أنه ابن مائة وعشر^(٦) . والمرزباني يذكر: أنه مات بروضة وقد
جاوز المائة سنة بعشرين ويقال بخمسين^(٧) وقيل إنه شهد صفين وعمره
١٥٠ سنة^(٨) .

(١) في إحدى روايات معجم ما استعجم ٢/ ٦٨٥ أو الإصابة ٣/ ٢٠ وأسد الغابة ٤/ ١٣٣ والاستيعاب ٣/ ١٢٠٢ أما صاحب معجم البلدان ٤/ ٤٩٩ فذكر أن أهل بندسيان يزعمون أن قبر عمرو بن معد يكرب موجود في بلادهم في حين أن المشهور أنه بروضة .

(٢) الأغاني ١٥/ ٢٢٥ وتجريد الأغاني ١٦٥٢ وشاعرات العرب : ٤١ ومعجم ما استعجم ٢/ ٦٨٥ ب/ ١ ومعجم البلدان ٣/ ٧٩ ب/ ١ ورويت البيهقي ١-٢ على أنها لبعضهم في البداية والنهاية ٧/ ١١٩ والاستيعاب ٣/ ١٢٠٢ وأسد الغابة ٤/ ١٣٣ .

(٣) الإصابة ٥/ ٢٠ .

(٤) معجم الشعراء ١٦/ ومعجم ما استعجم ٢/ ٦٨٤ - ٦٨٥ عن ابن الكلبي في إحدى رواياته .

(٥) الإصابة ٣/ ٢١ ، حيث ذكر أن هذا مروي في كتاب المعمرين لابن أبي الدنيا .

(٦) الأغاني ١٥/ ٢١٧ والإصابة ٣/ ٢١ .

(٧) معجم الشعراء ١٦ .

(٨) الإصابة ٣/ ٢١ .

وأغلب الظن أنه توفي وعمره مائة وثلاث عشرة سنة أو مائة وعشرين على أكثر تقدير، وذلك لأنه شهد القادسية سنة ١٤ هـ وعمره مائة وست سنين . وفي رواية مائة وعشر، وقد سبق وأن رجحنا أنه مات في معركة نهاوند سنة ٢١ هـ وبين القادسية ونهاوند سبع سنوات .
وأما ما روى من أنه شهد صفين وعمره ١٥٠ سنة فمستبعد وذلك لأن الثابت أنه مات بنهاوند سنة ٢١ هـ على أن هذا القول يؤيد أن عمره سنة نهاوند ١٢٠ سنة، وذلك أن صفين وقعت سنة ٤٠ هـ فبينها وبين نهاوند ٢٠ عاما تقريبا .